تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

التوريث الديني أساس التوريث الحضاري

ص 7

العلامة محمد بن معجوز المزغراني في ذمة الله تعالى

ص 9

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

3 دراهم

المحجة

نصف شهرية جامعة

AlmahajjaJournal | almahajjafes@gmail.com | www.almahajjafes.net

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج | 05 جمادى الأول 1438هـ الموافق لـ 03 فبراير 2017 | العدد :472

افتتاحية

واقع الأمة في ضوء الموازين القرآنية

الأمة المسلمة هي الأمة الحاملة لميراث النبوة اعتقادا، العاملة به تفكيرا وتعبيرا وتدبيرا، المبلغة له عن علم وحكمة وإقناع أو هكذا ينبغي أن تكون، والأمة المسلمة ليست أمة معزولة عن الواقع، بل تتحرك حركة واقعية فعلا وانفعالا، دفعا ومدافعة، فتنال نعم التمكين، كما تكتوي بنقم الخذلان.

وقد كثرت في الأمة اليوم الآراء في تفسير ازدهار المسلمين وانتشارهم، وانحدارهم أو انحسارهم التي ألقت بحُمَمِها السوداء على إيمان المسلمين وحركتهم في الواقع، وغلب على الناس أمام طوفان التفسيرات المادية التيه عن ذاتها، والعمى عن موازين النظرات المنهجية التي جاء بها القرآن الكريم لتصحيح حركة الأمة وتوجيه بوصلتها نحو الفاعلية والإيجابية والخيرية.

فقد غلب على الأمة اليوم مجموعة من المظاهر السلبية في فهم الواقع والتصرف فيه، منها:

- الاعتقاد بأن سبل الازدهار والرقي تكمن في التمسك بالأسباب المادية: الاقتصادية والعلمية والتدبيرية...
- أن أسباب التقدم والتحرر هي ما ورد علينا من أوروبا في فترات الاستعمار العسكري الظالم أو الاستعمار الثقافي الناعم.
- أن ما تعانيه من أزمات الضعف والتخلف وبُعد الفجوة بينها وبين الغرب لا حل له إلا بالعمل بما تقترحه مؤسسات النقد الدولي وما تفرضه الدول الكبرى على الصغرى من حلول مادية.
- تحليل أوضاعها وفق المعطيات الواقعية في السياسة الدولية وتقاطباتها وأحلافها، ونسج الحلول بالانخراط في هذا الحلف أو ذاك.
- **كما غلب على** المسلمين تفسيران منحرفان: تفسير غيبي يرد كل ما يقع للمسلمين للقضاء والقدر؛ فأفرز هذا عقيدة التواكل والكسل، وتفسير مادي ألغى كل فعل لله جل وعلا وكل مشيئة وتدبير إلهي، ورد أصحابه الأفعال إلى الطبيعة أو الإنسان وحدهما، وصاروا يلقون باللوم على الطبيعة وعلى الدولة وعلى الآخرين، تبريرا للعجز ودفعا للمسؤولية، وكلا التفسيرين لا يغرس إلا تصورات وتصرفات الجبر والإرجاء التي تصنع الشخصية التواكلية والسلبية وتبث روح الهزيمة النفسية والحضارية.

وغابت عن كثير من المسلمين -أو كادت- النظرة القرآنية القائمة على الموازين الربانية والسنن الإلهية في وجود الكون والإنسان والحياة والمصير، وحركة ذلك دفعا ومدافعة، تسخيرا وتعميرا وتدميرا. ولعل مما يحسن التذكير به في زمن الفتن المدلهمة والفتن المظلمة ما يلي:

– اليقين في القدرة والنصرة:

ومفاده أن الأمة محتاجة في ظروفها الحالكة اليوم إلى تثبيت الإيمان واليقين بأن الله تعالى هو القادر والناصر ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ (المائدة: 120) بإطلاق، وهو الناصر ولا ناصر غيره: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: 51) ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: 160) ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ (آل عمران: 126).

وثمرة هذا اليقين في النصرة والقدرة هو اكتساب الأمة المسلمة لمنهاج في النظر إلى الواقع والتاريخ نظرة إيمانية تصغر أمامها كل قوة إلا قوة الله العزيز الجبار، فالله أقوى من كل قوي وأكبر من كل كبير، ولا يقع في ملكه شيء إلا بعلمه وإذنه وحكمته.

ومن مستلزمات هذا اليقين القاعدة الموالية:

تتمة ص: 14

خطبة الجمعة وقضايا الناس

ص 5

- أهمية الحوار مع الأبناء
- أساسيات في تنشئة الولد الصالح

ص 10

إفريقيا: إمكانات وتحديات وآفاق التعاون والتنمية

ص 8

جارديان: المسلمون أول ضحايا الإرهاب

ص 14

بريطانيا: مسلمو البلاد يتعرضون لتمييز في المجال الوظيفي

ص 15

نظرات في سورة العلق 3/2

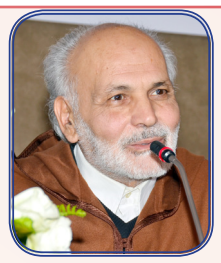

د. عبد العلي حجيج

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (6) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (7) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (8) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (9) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (10) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (12) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (13) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (14) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (17) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (18) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب (19)

- دراسة السورة:

1 – دراسة المضمون:

موضوع سورة العلق الأساس هو "الربوبية": ربوبية الله تعالى للإنسان منذ أن خلق الله الخلق إلى أن تكون إليه الرجعى، وتلقى الإنسان لتلك الربوبية إما بالشكر فينصر، وإما بالكفر فيخذل ويذل. ومن ثم يمكن تمييز قسمين كبيرين للسورة: قسم يتحدث عن نعمة الله ﷻ على الإنسان. وهو من قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ إلى قوله ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾، وقسم يتحدث عن آثار تلك النعمة في الإنسان وتعهد الله لها وهو الباقي.

القسم الأول:

فأما القسم الأول فيمكن تقسيمه أيضا تبعا لمضمونه وشكله معا إلى مقطعين المقطع الأول، وهو الآيتان الأوليان ذواتا فاصلة القاف، والمقطع الثاني وهو الآيات الثلاث بعد ذلك بفاصلة الميم.

ومضمون هذا القسم عموما: هو تعريفنا بربنا من هو؟ وفيم تتجلى ربوبيته عموما وربوبيته لنا نحن الإنسان خصوصا، فهو هو الموجد، وهو هو الممد أي هو الخالق والرازق وهاتان الصفتان: الإيجاد والإمداد، أو الخلق والرزق؛ هما خلاصة نعمة الله عز وجل على عباده. جمع فيهما ما افترق في غيرهما. وهما أصل ما سواهما، ولذلك بهما شرح الله تعالى نعمته على الناس في قوله: ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾ فربوبيته تعالى تتجلى أول ما تتجلى في تلك الصفتين؛ إذ هو "الذي خلق"، وهو "الأكرم". فلولا قدرته ما وجد موجود، ولولا كرمه ما أمد موجود بما يحتاج إليه في هذا الوجود. وربوبيته لنا، نحن الإنسان، خاصة تتجلى –زيادة على ذلك – في أن نقلنا نقلة بعيدة في الخلق؛ من درجة "علق" إلى درجة "الإنسان"، وكم بينهما من مسافات، وخصنا بالتكريم فأكرمنا بالتعلم والتعليم بالقلم. وفي ذلك تفضيل أي تفضيل على كثير ممن خلق.

وأظهر شيء في هذا القسم في المقطع الأول هو صفة القدرة، كما أن أظهر شيء في المقطع الثاني صفة الكرم، وهما متكاملتان، فبدون تلك القدرة لا يكون ذلك الكرم، وبدون ذلك الكرم لا تنجز تلك القدرة ما أنجزت من خلق. وهما معا أكبر طريق إلى أن نعرف ربنا حق المعرفة: فكونه "الذي خلق خلق الإنسان من علق" يقتضي عدة أسماء حسنى له سبحانه: أنه الخالق البارئ المصور، وأنه الملك المالك المهيمن، وأنه الحكم الحفيظ المدبر، وأنه وأنه.. وكونه "الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" يقتضي أنه العليم الحليم، الرحمن الرحيم، الرؤوف الكريم، الوهاب إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى التي تقتضي إنعاما منه تعالى، ومتى عرفنا ذلك أحببنا ربنا وخشعنا له فعبدناه كما يحب ويرضى. ومتى عرفنا ذلك أيضا عرفنا أنفسنا ومن حولنا، وأننا جميعا مربوبون لله ﷻ، مدينون له بوجودنا واستمرارنا، مخلوقون بقدرته، غارقون في بحر كرمه ولاسيما هذا الإنسان المخلوق "في أحسن تقويم" المكرم المفضل على كثير ممن خلق تفضيلا. فهل قام الإنسان بحق هذه النعم التي هو غارق فيها؟ هل شكر ربه على نعمة الخلق والرزق، والتكريم والتفضيل إن ذلك ما تقتضيه معرفته بربه، ومعرفته بنفسه، ومعرفته بمن حوله.

ألا وأنه لإعجاز أي إعجاز في تنزيل هذا القرآن الكريم أن تكون هذه الآيات الخمس الأولى من سورة العلق أول نازل من هدى الله إلى عباده.

القسم الثاني:

وأما القسم الثاني فيمكن تقسيمه تبعا لفواصله إلى ثلاثة مقاطع، مقطع الألف المقصورة وهو أكبر مقاطع السورة وأوسطها وآياته تسع، ومقطع الهاء وآياته خمس، ومقطع الباء وهو آية واحدة.

ومضمون هذا القسم عموما: هو كيف تلقينا نحن الإنسان نعمة ربوبية الله لنا، وكيف يعاملنا سبحانه وتعالى تبعا لذلك؟ إن القاعدة العامة لذلك التلقي هي: كفران النعمة قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾. والاستثناء هو شكرها. قال أيضا: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ وأن القاعدة العامة لتلك المعاملة تبعا لذلك هي نصرة الشاكرين وخذلان الكافرين، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾.

والمقطع الأول من هذا القسم يستقل أو يكاد بتقرير قاعدة التلقي، كما أن المقطعين الثاني والأخير يستقلان أو يكادان بتقرير قاعدة المعاملة، ذلكم أن الله ﷻ يقرر في بداية المقطع الأول مؤكدا: أن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى، زاجرا عن هذا السلوك الذي هو عكس ما كان ينبغي من الإنسان، وقد أنعم الله عليه بما أنعم مما تقدم فالإنسان من حيث هو إنسان، والإنسان كل الإنسان، فردا كان أم جماعة، ذكرا كان أم أنثى، صغيرا كان أم كبيرا... متى شعر بالاستغناء، وعدم الافتقار والاحتياج، طغى وبغى. وبما أن الشعور بالاستغناء حال لا يسلم منها إلا من عاين غنى ربه فأبصر فقره إليه، فإن الأكثرية طاغية أو معرضة للطغيان في وقت ما، وذلك شأن الإنسان –إلا من رحم الله– في تلقيه لنعمة ربه. وهل أظهر في توضيح هذه القاعدة والاستثناء من أن يهيمن جو الطغيان من كفر بالله وصد عن سبيله على المقطع كله؟ ولا يظهر الشكر إلا منهيا عنه من الكفر الطاغي أو في صورة احتمال لكبح جماح الكفر الطاغي: احتمال محاصر بالنهي السابق والتكذيب والتولي اللاحق. وكل ذلك ليس إلا ثلث المقطع: ﴿أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى﴾.

إن كفر النعمة في هذا المقطع بلغ مداه، وحاصر الشكر حصارا كبيرا في جزأي المقطع معا: التقريري والتمثيلي، فقول الله ﷻ: ﴿كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى﴾ ليس إلا تقريرا للحقيقة، ولا ذكر فيه لمظهر شكر.

وما بقي من المقطع –وهو الأكثر– ليس إلا تعجيبا من نموذج من نماذج الطغيان قد عتا عتوا كبيرا؛ إذ تجاوز الامتناع عن العبادة إلى منع غيره منها. ولم تذكر فيه مظاهر الشكر إلا في سياق إظهار فظاعة الطغيان الذي يمنع وجود تلك المظاهر. وهذا الشأن بعيد الفجر، أو هذه سنة الله ﷻ في الساعات الأولى من ميلاد الشكر، حيث الظلمات تحاصر النور حصارا، والنور يأبى إلا انتشارا، فهل من عزاء للشاكرين في مثل هذه الحال؟ ذلكم أن "إلى ربك الرجعى" وأن "الله يرى".

وأما المقطعان الثاني والأخير اللذان يستقلان أو يكادان بتقرير قاعدة المعاملة؛ فواضح فيهما معا نصرة الشاكر وخذلان الكافر، بل أن أولهما تهديد صريح بالتدخل المباشر لأخذ الظالم الطاغية أخذا وبيلا، وجعل المعركة إن لم يرتدع هذا الطاغية دائرة بين أنصاره "ناديه" من جهة وجند الله "الزبانية" من جهة ثانية، بعد تنحية المظلوم –العبد الذي صلى وكان على الهدى وأمر بالتقوى–. نهائيا وإبعاده عن المعركة فقد كفى. "كلا لئن لم ينته... الزبانية" وذلك مصداق الحديث القدسي الصحيح: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب" وفي المقطع الأخير صرف للنظر نهائيا عن الطاغية، فلم يعد له بعد تدخل الله بقوته وجنده وزن يذكر، مع التأنيس والتقريب، والتلطف والتودد للمظلوم، وفتح الباب أمامه على مصراعيه: باب القرب والدخول في الحمى والحضرة الإلهية فليسجد وليتقرب.

ومن ذلكم يفهم أن ولاية الله لأوليائه تامة ومستمرة، ما داموا أولياء لله حقا، فهو الذي بدأ عليهم النعمة، وهو الذي قال: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليه ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾. واشتداد الطغيان ومحاصرته للإيمان لا يغير من هذه الحقيقة شيئا؛ لأن تدخل الله لابد واقع عند نهاية احتمال الأولياء ونفاد صبر المؤمنين: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾. فليسجد العابدون وليقتربوا وحسبهم الله ونعم الوكيل.

وهكذا إذن تبدو السورة جسدا واحدا سوى الخلقة في أحسن تقويم مفتاحها كلمة "ربك" منها تفيض السورة برمتها وعلى معناها ومقتضياتها تدور، فهو تعالى لأنه رب الإنسان أنعم على الإنسان، والإنسان تلقى النعمة فكفر أو شكر، ومن كفر عاداه الله ومن شكر تولاه الله. وسيرا مع هذا التدرج يتجلى الله أول السورة ربا منعما، ووسطها ربا ممهلا غير مهمل، وآخرها ربا موعدا واعدا.

والسورة بذلك كأنها ترتسم سنة الله في ربوبيته للإنسان مطلقا: الإنسان الفرد، والإنسان الجماعة، والإنسان النوع: ينعم عليه أولا، ثم يُعطى مهلة لينظر ما ذا يفعل بتلك النعمة ثم يجازى على حسب فعله. بينما الإنسان في السورة يبدو أول ما يبدو مربوبا منعما عليه، ثم مربوبا طاغيا

أو شاكرا، ثم مربوبا موعدا أو موعودا. فالسورة على ذلك تعريف بالله ﷻ، من جهة كونه ربا، والإنسان من جهة كونه –طغى أم شكر– مربوبا.

مقومات الأمن الروحي في الخطاب النبوي (2)

ذ. محمد البخاري

عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له» (صحيح مسلم).

إن البحث عن الأمن الروحي أرّق الكثير من المفكرين والباحثين منذ زمن بعيد، وصعوبة الاهتداء إليه تكمن أولا في اختيار جهة البحث، لذلك فالذين بحثوا عن الأمن الروحي عند غير خالق الروح، لم يظفروا بشيء لأنهم ضلوا الطريق. فما هي الوسائل التي حددها النبي ﷺ لتحقيق الأمن الروحي؟ وكيف يمكن الحفاظ عليه في زمن الخوف والاضطراب؟

ثانيا: شكر المنعم وسيلة لتنمية الأمن الروحي:

تحدثت في المقال السابق عن بعض العناصر الأساسية لتحقيق الأمن الروحي، انطلاقا من قوله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير» وتبين لنا بالدليل الذي لا خلاف فيه، أن توثيق المسلم صلته بالله كفيل بتحقيق السكينة النفسية له.

ومن خلال هذا الحديث أيضا؛ يظهر أن الرسول ﷺ لم يكتف بتحقيق الأمن الروحي، بل اهتم أيضا بتنمية هذا الأمن واستمراره حتى لا يتعرض للفتور أو الاندثار، فيحل مكانه الخوف والاضطراب، فقال ﷺ: «إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له».

"السراء" في الحديث شامل لكل ما يدخل السرور على النفس، فلا نفهم منه أن المطالب بالحمد والشكر هو الإنسان الغني فقط، فهذا اعتقاد خاطئ، وجحود مبين للنعم الكثيرة التي ينعم بها المسلم من إيمان بالله تعالى، وصحة، وعقل، وحواس، وأسرة، ونسب وغيرهم، فكل يعيش في ظل نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، فالحمد على السراء يشمل القليل والكثير، قال ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ..» (مسند البزار).

هذا الشكر على السراء هو الخير عينه، لما فيه من الشعور بالأمن؛ لأن خزائن الله لا تنفد، وهو ينعم في الدنيا، وينعم في الآخرة، فنعمه مستمرة في الحياة وبعد الموت، وهذا يجعل النفس ترتاح لأنها تعتمد على غني مطلق، لا على ضعيف محتاج؛ ولذلك فمطلوب من المسلم أن يشكر كل من قدم له معروفا ولو كان إنسانا ضعيفا، قال رضي الله عنه: «من أعطي عطاء فوجد فليجز به، ومن لم يجد فليثن، فإن من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر» (سنن الترمذي).

إن شكر الله ﷻ على نعمه شامل للقول والفعل، فكل ما يظهر الاعتراف بالجميل لله تعالى فهو شكر، ومن ذلك الإكثار من العبادة والطاعة شكرا لله على نعمة الإسلام والإيمان، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر"، فقال: «يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا» (صحيح مسلم). فجواب النبي يتضمن تنبيها هاما لأمته من أجل تجنب العواقب الوخيمة التي يمكن أن تترتب على الكفر بنعم الله تعالى، ومنها:

1 - رفض الشكر لله تعالى اتباع للشيطان ومظهر للطغيان:

لذلك ربط الرسول ﷺ الشكر بالنعم «إن أصابته سراء شكر»؛ لأنه الدواء من داء الغرور والتجبر، فالشكر يعني أنك ترجع النعمة إلى مصدرها الحقيقي وهو الله، وتنزل نفسك منزلة المنعَم عليه الذي استحق بفضل الله وكرمه ما منحه إياه، فلا يعقل أن تنسب ما لغيرك لنفسك، فذاك جحود لحقيقة الأمر، وتجاهل للواقع، ومن هنا كان هذا التنبيه من النبي ﷺ حتى لا تقع أمته في الغرور، وتحرص على نيل الخير عن كل نعمة.

إن شكر الله ليس بالأمر الهين على النفس الأمارة بالسوء، التي تأتمر بأوامر الشيطان، وتجنح إلى إغراءاته. قال تعالى حكاية عن إبليس: ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ (الأعراف: 16-17). فهو إخبار برفض الكثير من الناس شكر الله على نعمه، وقد تأكد هذا الإخبار بقوله تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ (سبأ: 13). وفي المقابل تجد الكثير منهم كافر بنعم الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وإن كثيرا من الناس لفاسقون﴾ (المائدة: 49). هذا الواقع نعيشه صباح مساء؛ لأن معظم النعم التي توجد في هذا الكون قد كفر الناس بمعطيها؛ إما عن طريق نسبتها إلى الإنسان نفسه، كما هو حال معظم المجتمعات الغربية المصنعة التي قطعت مراحل كبرى في مجال الصناعة والتكنولوجيا، واعتدت بنفسها إلى حد الغرور، كما يظهر في خطاباتها الرسمية، اتباعا لطريق الشيطان، وتبنيا لشعار الطغيان على مذهب قارون ومن هو على شاكلته، حين رد على النصيحة التي وجهت إليه: ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ (القصص: 77) بقوله ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾ (القصص: 78). وإما عن طريق توظيفها في غير ما أراد الله تعالى، كما يظهر من تصرفاتها الفاسدة إلى حد استباحة دماء الأبرياء من النساء، والصبيان، والشيوخ، والعجزة، وكلاهما مرتبط بالآخر على نحو ما. قال تعالى: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين﴾ (سبأ: 20).

ومن مظاهر الطغيان أن تعتقد أنك حصلت على كل النعم أو بعضها بمجهودك الفردي، وتلغي توفيق الله وتوجيهه لك لما فيه من الخير، مصداقا لقوله تعالى: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ (العلق: 6-7). فالإنسان يطغى؛ لأنه يعتقد أنه استغنى عن الله في كل شيء. قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله"(1). وهو أمر نعاني منه كثيرا في واقعنا، فحقوق معظم الناس تضيع عن طريق طغيان الإنسان بماله، فهو يسلب حق هذا، ويقتل ذاك، ثم يشتري كل شيء بالمال فيكون الحكم لصالحه، سواء على مستوى المجتمعات الدولية، مثل قضية فلسطين مع اللوبي الصهيوني المسيطر بماله على كل مؤسسات العالم، أم على مستوى الأفراد كما هو حال محاكم معظم البلدان الإسلامية. فهذا توظيف لنعم الله في الظلم والتسلط، فلم يكن للإنسان فيها خير، وهذا سر تعجب النبي ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن..» لأنه لم يعرف كيف يشكر الله تعالى على ذلك، فحول النعمة إلى نقمة وبلاء عليه وعلى غيره.

2 - إخفاء النعم اعتداء على حق المنعم:

كثير من الناس يعيشون التعاسة وهم يملكون خيرات كثيرة وهبها الله لهم، فبدل أن تكون هذه الخيرات الدنيوية عونا لهم على تنمية قيمة الأمن الروحي في مجتمعاتهم، ومصدرا مزودا لسكينة نفوسهم وراحتها، جعلوها منبع قلق وخوف لأنهم ظنوا أنهم سيمتلكونها إلى الأبد، فملكت هي نفوسهم، وتحكمت في توجهاتهم، وسيطرت على عقولهم، ففقدوا لذاتها، ولم يستمتعوا بطيباتها رغم كثرتها، بل لم يشعروا بوجودها؛ لأنهم قاموا بإخفائها وبخلوا بها حتى على أنفسهم، فلم يوظفوها فيما أمر الله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ (الضحى: 11). قال الألوسي: "المعنى أنك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك وهداك وأغناك، فمهما يكن من شيء فلا تنس نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلاث، واقتد بالله تعالى فتعطف على اليتيم وترحم على السائل فقد ذقت اليتم والفقر"(2).

ويؤخذ مما سبق أن إظهار نعم الله يكون بحسب النعمة ذاتها، فالمال يتم الشكر عليه بإنفاقه فيما يعمر الأرض بالصالحات، ونعمة الصحة تنفق في السعي على الأهل وعبادة الخالق، ونعمة السلطة تصرف في مساعدة الضعفاء وتحقيق العدل؛ لأنه بذلك يحصل التحدث بنعم الله تعالى، تفاديا للفخر لأنه مذموم، والبخل لأنه ضرب من الجحود لفضل الله تعالى، حيث أصبح سيرة متبعة لدى الكثيرين، فهم يظهرون عوزهم وفقرهم ظنا منهم أن ذلك صواب وهو عين الخطأ، قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا أنعم على عبد نعمة أن يرى أثر نعمته عليه» (السنن الكبرى، البيهقي).

فإخفاء النعم اعتداء على حق الله تعالى، وجحود لفضله، إلا إذا كان لسبب مشروع كالخوف من لصوص، أومن سلطان جائر، ولغير هذا ونحوه مذموم؛ لأنه سبب أيضا للاضطراب وعدم الاستقرار الروحي، فالمرء يخفي ما عنده من فضل الله ويعلق قلبه بما لدى الغير، وقد يتمنى ما عندهم وهو أفضل حالا منهم، فيعيش عذابا دائما، ويملأ قلبه الحقد والكره، ويسيطر عليه البخل، فتكون النعمة التي يجب أن تدخل إلى قلبه البهجة والسرور مصدر قلق وخوف، ولو أظهر ما أعطاه الله لتخلص من ثقل كبير تحمله دون سبب، وتأسى به الناس في شكر المنعم والثناء عليه، قال ﷺ: «يا أيها الناس، ابتاعوا أنفسكم من الله من مال الله، فإن بخل أحدكم أن يعطي ماله للناس فليبدأ بنفسه، وليتصدق على نفسه، فليأكل، وليكتس مما رزقه الله ﷻ» (مكارم الأخلاق، الخرائطي).

---

1 - تفسير ابن كثير، دار طيبة، ج 8، ص: 437.
2 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ط1، 1415هـ، دار الكتب العلمية، ج 15، ص: 384.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغرب : 60 درهم

■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)

رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات،

فاس - المغرب

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة	المدير المؤسس	المدير المسؤول	مسؤول الإخراج	الموقع الالكتروني : البريد الالكتروني :	عنوان المراسلة :	الإيداع القانوني : 1994-61 رقم الصحافة : 91/11 الترقيم الدولي : 3627-1113	الطبع : إكوبرانت التوزيع : سابريس
	ذ. المفضل فلواتي	د. عبد العلي حجيج	رشيد صدقي	www.almahajjafes.net almahajjafes@gmail.com	حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب الهاتف : 0535931113 الناسوخ : 0535944454		

السيرة الكاملة الشاملة: التسمية والمفهوم (3)

المبحث الثاني: مفهوم شمول السيرة

بناء على هذا وبالجمع بين قراءة القرآن والسنة وفق ترتيبهما التاريخي في مجالي الدعوة والتزكية -على سبيل المثال- ينكشف للقارئ المنهاج القرآني الذي كان دليل الرسول ﷺ وعمود سيرته وهيكلها وسداها، كما ينكشف التنزيل النبوي لهذا المنهاج.

فلنتعرف على ذلك من خلال المثالين التاليين:

المثال الأول: عناصر من السيرة الدعوية

السيرة الدعوية منثورة في القرآن والسنة، ولكن باستقرائهما على النحو المذكور يتأتى استخراج منهاج الدعوة النبوية الذي نزله الله على قلب الرسول ﷺ، ونزله الرسول ﷺ على أرض الواقع.

أما القرآن فمن يتدبره تلوح له عناصر منهاج الدعوة الذي أطر الله به السيرة الدعوية للنبي ﷺ، ومن هذه العناصر:

العنصر الأول: القرآن هو وسيلة الدعوة

أمر الله رسوله ﷺ في بدايات الدعوة باتخاذ القرآن وسيلته في الدعوة، فقال الله تعالى: ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ (ق:45)، ثم قال له: ﴿وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾ (الفرقان: 52). وهكذا كلفه الله في وقت مبكر بالجهاد وحصر جهاده في الجهاد باللسان، وحصر جهاده اللساني في الجهاد بالقرآن وأكد له الأمر بذلك من بعد كما في قوله تعالى: ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾ (الأنعام: 57).

وتمثل جهاده بالقرآن في تلاوته على الناس، فكانت الصفة الكبرى للدعوة النبوية أنها تلاوة للقرآن، بل كادت مهمته أن تنحصر فيها كما قال الله تعالى على لسانه: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فلنفسه﴾ (النمل: 92). وقال له أيضا: ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ (الرعد: 3).

وظلت تلاوة القرآن على الكافرين صفة ملازمة لعمل الرسول ﷺ وتكليفا مصاحبا له إلى آخر المرحلة المكية كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾ من سورة العنكبوت وهي من أواخر ما نزل بمكة، ثم توالى عمله بهذه الطريقة في المدينة كما تدل على ذلك آيات سورة الحج ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾. وكذا آيات سورة الطلاق ﴿الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾.

العنصر الثاني: التدرج في التصدد الدعوي

قام محمد ﷺ بواجب الدعوة إلى الله منذ قال الله تعالى له: ﴿فم فأنذر﴾، وقد أشعره الله في وقت مبكر بأنه داعية عالمي كما في قوله تعال: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ من سورة الفرقان، لكنه لم يكلفه بأن يكون عالميا من أول وهلة بل تدرج به إلى العالمية كما يلي:

أولا: دعوته كل من يتوسم فيه خيرا أو يرجو فيه استجابة.

ثانيا: دعوته لعشيرته الأقربين.

ثالثا: دعوته سائر القبائل بعد تمنع قريش وحصارها للدعوة وتحصينها أبناءها منها.

رابعا: دعوته لأهل الكتاب العرب.

خامسا: دعوته لسائر الأمم من غير العرب.

العنصر الثالث: التدرج في المضمون الدعوي

تدرج المضمون الدعوي وفق المدارج التالية:

أولا: بيان أن الناس في ضلال لا يعرفون ربهم وأنهم في حاجة إلى هدايته ودعوتهم إلى عبادة الله خالقهم وترك عبادة الشيطان عدوهم.

ثانيا: الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر وإقامة الدليل على إمكانه وترسيخ عقيدة الآخرة، وكان ذلك مضمون سورة القارعة والقيامة والهمزة والمرسلات وق والبلد والطارق والقمر.

ثالثا: الدعوة إلى مكارم الأخلاق من العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وحفظ الفروج ورعاية الأمانات والقيام بالشهادات والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي وقتل النفس بغير الحق وشهادة الزور.

العنصر الرابع: تدرج المقاصد الدعوية

جعل الله تعالى رسوله ﷺ على بصيرة من مقاصد دعوته، فكان يوضح له هذه المقاصد بالتدرج واحدة تلو الأخرى كل في وقته المناسب.

مقاصد الدعوة بمكة المكرمة:

أولا: مقصد الإنذار؛ أولى المقاصد الدعوية التي أمر الله رسوله ﷺ بتحقيقها هي إنذاره الناس عذاب الله يعلمهم به ويخوفهم منه، فكان من أوائل ما نزل عليه: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾، وكان أول ما أنذرهم: جهنم ﴿فأنذرتكم نارا تلظى﴾(1).

ثانيا: مقصد التبشير: ازدوج في منتصف المرحلة المكية الإنذاري والتبشيري في أعمال الرسول ﷺ مع نزول الآية السادسة والخمسين من سورة الفرقان: ﴿وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا﴾.

وكان التبشير فيما قبل نزول سورة ص وسورة الأعراف تبشيرا مجملا وخفيفا، ثم صار يتبلور أكثر وينحو منحى التصريح مع سورة الأعراف...

مقاصد الدعوة بالمدينة المنورة:

استمر القرآن المدني في تأكيد ما أنشأ من الجمع بين الإنذار والتبشير فقال تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ (الأحزاب:15).

كما واصل تأكيد مقصد الدعوة الأساسي الذي هو الهداية والإخراج من الظلمات إلى النور وأن محمدا -وهو الداعي إلى الله- سراج منير بسبب كون القرآن نورا مبينا، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾ (النساء: 174). وقال أيضا: ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ (الحديد: 9).

ثم انتقل القرآن إلى الإعلان عن هدف اجتماعي دعوي في نفس الوقت وهو القيام بالقسط.

تبع ذلك في سورة النور التبشير بالاستخلاف في الأرض وتبديل الخوف أمنا.

ولما أكمل الله دينه، أوكاد، أعلن عن الهدف النهائي للدعوة الإسلامية على يد الرسول ﷺ وهو ظهور الدين في الأرض وتمكينه فيها وبروز تميزه عن سائر الأديان.

هذه بعض معالم المنهاج التي أعطاها الاستقراء الأولي للقرآن، وبإتمام استقرائه يمكن الوقوف على معالم أخرى تتعلق بوسائل الدعوة وأساليبها ونحو ذلك مما يندرج في ما سماه الدكتور الشاهد البوشيخي بالهدى المنهاجي(2)، وفي السنة لمن استقرأها تفاصيل تطبيقية لذلك المنهاج القرآني؛ منزلة كل واحدة منها على وقتها ومكانها وإنسانها.

المثال الثاني: عناصر من السيرة التربوية

السيرة التربوية كالسيرة الدعوية رسم لها القرآن معالم المنهاج، فنزلت في البدء آيات ترسيخ الإيمان بالله واليوم الآخر، وعززت بآيات الأمر بمكارم الأخلاق كلها: الأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى والوفاء بالعهد ورعاية الأمانة والقيام بالشهادة وحفظ الفروج والدفع بالتي هي أحسن والنهي عن مساوئ الأخلاق من الفحشاء والمنكر والبغي والتطفيف في المكيال والميزان والقتل بغير حق والزنا وشهادة الزور... ولم تكن هذه الأخلاق مما يجادل فيه أحد من الناس، وهي أخلاق يقتضيها التعريف بالدعوة ونجاحها وتأثير الدعاة في محيطهم.

ونزل عقب الشروع في الصدع بالحق الأمر بالعفو والصبر والإعراض عن الجاهلين، وهي خصال تتطلبها مصلحة حفظ الدعوة من مواجهات غير متوازنة مع الأعداء المستفزين في وقت كان المؤمنون فيه مستضعفين ولم يكن للدعوة من قوة سوى قوة الحجة.

وكانت تزكية الرسول ﷺ لأنفس المستجيبين لدعوته بهذه المعاني تجري بدار الأرقم، ثم هاجر ﷺ إلى المدينة فتحولت الوسيلة من الدار إلى المسجد، فأصبح يزكيهم بوسيلة خطبة الجمعة ووسيلة الموعظة التي كان يتخولهم بها مخافة السآمة عليهم.

قام محمد ﷺ بواجب الدعوة إلى الله منذ قال الله تعالى له: ﴿فم فأنذر﴾، وقد أشعره الله في وقت مبكر بأنه داعية عالمي كما في قوله تعال: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ من سورة الفرقان، لكنه لم يكلفه بأن يكون عالميا من أول وهلة بل تدرج به إلى العالمية كما يلي:

أولا: دعوته كل من يتوسم فيه خيرا أو يرجو فيه استجابة.

ثانيا: دعوته لعشيرته الأقربين.

ثالثا: دعوته سائر القبائل بعد تمنع قريش وحصارها للدعوة وتحصينها أبناءها منها.

رابعا: دعوته لأهل الكتاب العرب.

خامسا: دعوته لسائر الأمم من غير العرب.

فكان في الخطبة يزكي أصحابه بما يعالج أنفسهم والأحوال العامة، فكان في حال الفقر والحاجة يرغب في التكافل كما فعل في خطبته الأولى بالمدينة التي تزامنت مع قدوم صحابة أخرجوا من ديارهم وأموالهم. قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة، أن قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، أيها الناس، فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله، ليصعقن أحدكم، ثم ليدعن غنمه، ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه -ليس له ترجمانٌ، ولا حاجب يحجبه دونه-: ألم يأتك رسولي، فيبلغك، وآتيتك مالاً، وأفضلت، فما قدمت لنفسك؟ فينظر يميناً وشمالا، فلا يرى شيئاً، ثم ينظر قدامه، فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يفعل فبكلمة طيبة؛ فإن بها تجزئ الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام على رسول الله ورحمته وبركاته»(3).

وكذلك كان يفعل في مواعظه وتوصياته بالمدينة المنورة: ففي صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ، قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

قَالَ ابن حجر: "وَخَصَّ هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ بِالذِّكْرِ لِمَسِيسِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لِمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْجَهْدِ وَلِمَصْلَحَةِ التَّأْلِيفِ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَثَّ عَلَيْهِمَا أَوَّلَ مَا دَخَلَ الْمَدِينَةَ كَمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مُصَحَّحًا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ. قَوْلُهُ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ أَيْ لَا تَخُصَّ بِهِ أَحَدًا تَكَبُّرًا أَوْ تَصَنُّعًا بَلْ تَعْظِيمًا لِشِعَارِ الْإِسْلَامِ وَمُرَاعَاةً لِأُخُوَّةِ الْمُسْلِمِ أَوْ أَنَّ النَّهْيَ مُتَأَخِّرٌ وَكَانَ هَذَا عَامًّا لِمَصْلَحَةِ التَّأْلِيفِ"(4).

ولما كبرت الجماعة المسلمة صارت تظهر فوارق شخصية بين الصفوة من الصحابة وبين عموم المسلمين، فشرع النبي ﷺ في استعمال منهج مراعاة الفروق الفردية أو ما سماه أبو إسحاق الشاطبي: "تحقيق المناط الخاص"، بحيث صار يحدث خواص الصحابة بما لا يحدث به العامة، كما دل على ذلك حديث وابصة "استفت قلبك..."، وحديث أبي هريرة الذي أنبأه فيه بأول من تسعر بهم النار يوم القيامة، وحديث حذيفة المتعلق بحق العباد على الله... وصار في إنفاق المال يقبل من بعضهم ما لا يقبله من آخرين، ويعطي للبعض منهم ما لا يعطي غيرهم، وصار يجمع بين معاملة صفوتهم بالجد -باعتباره اللائق بمقامها- وبين معاملة عوام المسلمين بالمداعبة والمزاح على سبيل التعديل لشخصيات بعضهم والتليين لطباعهم، وعلى سبيل التطييب لخواطر آخرين...

ولو ذهبنا نستقرئ مثل هذا في القرآن والسنة استقراء تاما لوجدنا منه شيئا ذا بال مما هو غير موجود فيما بين أيدينا من تراث السيرة.

وما قيل في السيرتين الدعوية والتربوية يقال في سائر السير التي ينبغي أن تتضمنها وتتكون منها السيرة النبوية الكاملة الشاملة.

---

1 - يؤكد أولية الإنذار أن الرسول ﷺ في أول دعوته للمشركين من أقاربه كان لهم منذرا فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: 214)، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» -لِبُطُونِ قُرَيْشٍ- حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ».

2 - انظر "نظرات في الهدى المنهاجي في القرآن الكريم" له.

3 - فتح الباري لابن رجب:9-271. باب من قال في الخطبة بعد الثناء وهو الباب 29.

4 - فتح الباري كتاب الإيمان باب إطعام الطعام من الإسلام.

د. زيد بوشعراء

خطبة الجمعة وقضايا الناس

للأسف من الآفات التي تصاب بها الأمة أن تتحول العبادات إلى عادات وطقوس (فولكلورية)، وتتحول خطبة الجمعة إلى عمل روتيني وكلام عام وأداء صوتي رتيب، تراعى فيه علامات الترقيم، والحركات الإعرابية الشكلية بدون مضمون حقيقي. مما يجعل الخطبة؛ خطبة ميتة لا روح فيها؛ تحفة تراثية من موروثات الزمن الماضي، خطبة لا تختلف عن خطب قرون قد خلت، خطبة في مدينة لا تختلف عن خطبة في قرية صغيرة. تتساوى خطبة تلقى أمام أهل علم وفكر، مع خطبة تلقى أمام العوام. تدخل للمسجد فتجد الخطيب يتحدث عن الوضوء والطهارة، أو عن واقعة مثل الهجرة وغار ثور بغير استنباط للدلالات والعبر أو يتحدث عن السواك والكحل، فيشرد ذهنك أو يراودك النوم، لضعف تناول الموضوع، وضعف التفاعل الصادق مع مضمون الموضوع.

والسبب في هذا الخلل هو عدم فقه حقيقة الخطبة! أو لأن الخطيب غير كفء! أو لأن البيئة ذاك مرادها! فما هي شروط إنجاح خطبة الجمعة؟

شروط نجاح الخطبة:

خطبة الجمعة منبر دعوي هام، ووسيلته فعالة لتذكير الناس بأمور دينهم، وتوعيتهم بأحوال زمانهم، وتبصيرهم بالموقف الشرعي من نوازلهم وقضاياهم. وحتى يوظف الخطيب منبر الجمعة الاستثمار الأكمل والأحسن، عليه أن يراعي شروطا أساسية لابد منها لتبرز شخصيته في الأمة، وتجعله محل ثقة ومحبة، وإعجاب وتقدير، وبإجمال، لضمان نجاح رسالته. ذلك أن الخطاب يحتاج إلى مقومات مختلفة ليلقى القبول، لذلك ما كان من نبي الله موسى عليه السلام وهو يستعد لمخاطبة فرعون إلا أن: ﴿قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾ (طه: 25-27).

أولا: الشروط الذاتية

وهي الشروط المتعلقة بذات الخطيب وشخصيته التي منها:

1 - **الإخلاص:** وهو روح الأعمال وجوهرها، فبعد الدافع النفسي أي: الرغبة، يأتي الأساس العقدي الذي هو النية الخالصة في امتثال أمر الله، وقصد طاعته، وابتغاء مرضاته. والإخلاص مطلب عزيز، وغاية صعبة المنال، تحصل بالمجاهدة، والتضرع إلى الله، حتى ولو كانت تلك وظيفته التي يقتات منها، وذلك لأن صاحب الرسالة يستفرغ كل طاقته في محاولة توصيلها للناس، لا يكل ولا يمل. والمشكلة الآن أن تصير الخطابة وظيفة فقط، مما يضيّع كثيرا من فوائدها.

2 - **الفقه:** من الشروط التي تجعل الخطيب ناجحا في خطبته، أن يكون له زاد علمي شرعي، وحصيلة معرفية شاملة. والفقه أقسام ثلاثة: فقه الدين، وفقه الواقع، وفقه التنزيل.

أ - **فقه الدين:** يتطلب هذا العمل الدعوي زادا من العلوم الشرعية، من القرآن الكريم تلاوة سليمة وتفسيرا. ومن الحديث النبوي الشريف حتى لا يكون المنبر وسيلة لنشر الموضوعات، والأحاديث الشديدة الضعف، أو المخالفة للأصول الشرعية. ومن الفقه الإسلامي، والتاريخ والسير.

ب - **فقه الواقع:** "إن كتاب الله وسنة رسوله الله ﷺ يعطيان المثل في مواكبة الواقع علما به في دائرة ضيقة هي القرية أو المدينة أو القطر، وإن كانت مراعاة الأولويات مطلوبة، وإنما يمتد هذا المحيط ليشمل جميع مناطق وجود الإنسان المسلم...

وهكذا يكون المحيط الذي تمتح منه الخطبة محيطا مطاطا يتسع حتى يستغرق العالم، ويضيق حتى يقتصر على المدينة أو القرية، وهذا الضيق أو الاتساع تحكمه مستجدات وملمات تجعل الحديث عن هذه الجهة أولى من الحديث عن غيرها... وإذا كان مطلوبا من الخطيب أن يرتبط بمحيطه وبيئته فإن هذا يوجب عليه -دون شك- التزود بمعارف العصر والملاحقة لما يجد في بيئته من الأفكار. وهذه المتابعة والملاحقة تلزم الخطيب بالاتصال بوسائل الإعلام". فمعرفة الناس والحياة أمر مطلوب من الخطيب لأنه لا ينبغي أن يتكلم من فراغ، بل في وقائع تنزل بالمجتمعات من حوله، وهؤلاء تؤثر في أفكارهم وسلوكهم تيارات وعوامل مختلفة: نفسية وثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية، فلابد للخطيب أن يكون على حظ من المعرفة بأحوال عصره وظروف مجتمعه، ومشكلاته وتياراته الفكرية والسياسية والدينية، وعلاقاته بالمجتمعات الأخرى ومدى تأثره بها وتأثيره فيها.

فالخطيب الناجح والمؤثر هو ذلك الإعلامي الذي يعرف أخبار أمته فيقوم بإعدادها، وتبسيطها، وصياغة عرضها، إلى خليط من الناس مختلفي المنهل والمشرب. الخطيب الناجح محب ودود، يألف ويؤلف، فلا يعزل نفسه عن الناس، بل يسأل عنهم، ويغشى مجالسهم، ويبارك أفراحهم، ويواسي مهمومهم. الخطيب الناجح يغشى مجلسه الكرماء، والصلحاء والبسطاء، فيعمر الحديث بالفكر والذّكر، فتحل بركة السماء في الزمان والمكان.

ج - **فقه التنزيل:** إلى جانب المعرفة الشرعية والمعرفة بالواقع يلزم الخطيب القدرة على تنزيل الأحكام الشرعية تنزيلا سليما على المستجدات والوقائع، وهذا يتوقف على فهم النصوص من جهة، وعلى إدراك مقاصد الشرع من جهة، وعلى إحسان القياس.

ولقد خطب النبي ﷺ في الغزوات وفي شهر رمضان وفي الحج وفي ذم الغيبة وفي الولاة والعمال.

3 - **إبلاغ أحكام الشرع:** إن القضية المركزية لخطبة الجمعة هي الارتباط بالواقع وتتبع المخاطر التي تهدد الأمة للتحذير منها، والدلالة على أسباب النجاة منها للتشبث بها. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: 122). فالقرآن الكريم يؤكد على أن التفقه مسؤولية رسالية يجب أن تتحقق في العلماء، والإنذار مسؤولية رسالية من اختصاص العلماء -أيضا- بما هو استعداد لمواجهة الشعور بالخطر، وقد نبه القرآن الكريم إلى هذا الخطر في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 217). وانطلاقا من هذا التنبيه إلى الخطر نبه القرآن إلى ضرورة أخذ الحذر، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ (النساء: 71). وقال: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: 122). وفسر الحذر بأنه بذل المستطاع في الاستعداد بالقوة فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: 60). وهكذا يكون التنبيه إلى خطورة التهديد، أعطى التنبيه إلى الحذر، والتنبيه إلى الحذر فرض مسؤولية الاستعداد بالقوة. ويقاس على هذا تهديدات الغزو الفكري، والسياسات التي تستهدف هوية الأمة وثوابتها وغير ذلك، مما يلزم الخطيب التنبيه عليه، ولا يدفن رأسه في التراب صنيع اليمامة البلهاء.

4 - **الخلق:** وهو جماع الصفات النبيلة التي يلزم الخطيب أن يتحلى بها.وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأُخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم».

قال أحد العارفين قديما: "يا بني أظهر اليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع وطلب الحاجات إلى الناس فإنه الفقر. وإذا صليت فصل صلاة مودع، واعلم أنك لن تجد طعم الإيمان حتى تؤمن بالقدر كله خيره وشره، وكن قائلا بالحق، عاملا به، يزدك الله نورا وبصيرة... ولا تخالط إلا عاقلا تقيا، ولا تجالس إلا عالما بصيرا... وأدم ذكر الله تنل قربه".

5 - **أساليب الأداء:** إن أحسن الخطب يمكن أن يفسدها الأداء والإلقاء غير المتقن. فالخطبة تتطلب تفاعلا صادقا للخطيب مع ما يقول، بصوته وحركاته ونظراته وقسمات وجهه. وأن يقبل في أحاديثه على جمهور الحاضرين جميعا بحيث يشعر كل واحد من الحاضرين أنه المقصود بخطابه.

6 - **المظهر:** من عوامل نجاح الخطيب ظهوره أمام الناس بمظهر لائق وجذاب، فالله تعالى أوصى عموم المسلمين بالتزين عند كل مسجد بقوله سبحانه: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ (الأعراف: 31). ومن باب أولى أن يكون الخطيب والإمام متحليا بذلك الوصف، وقد أوصى الحبيب المصطفى ﷺ باللباس الطيب الطاهر، فعن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم».

ثانيا: الشروط الموضوعية

وهي الشروط المرتبطة بالموضوع شكلا ومضمونا وأسلوبا وهي:

أ - من حيث الشكل:

1 - أن تكون وسطا بين الطول الممل، والاختصار المخل.
2 - وضع تصميم محكم للخطبة.
3 - التزام خطبة الحاجة.
4 - الدعاء في الختم.

ب- من حيث المضمون:

1 - الجمع بين الترغيب والترهيب، والخوف والرجاء، والتبشير والإنذار، وذلك في سياق التوازن العام للشريعة.
2 - معالجة مشاكل واقع الناس المعيش.
3 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
4 - الاستشهاد بالقرآن والسنة.
5 - التمثيل والاستشهاد بمواقف وأقوال من السلف والخلف.
6 - التركيز على موضوع واحد.
7- نشر مبادئ الإسلام، والموعظة الحسنة.

ج - من حيث الأسلوب:

1 - الوضوح.
2 - الفصاحة والبلاغة.
3 - اختيار الألفاظ الطيبة وتجنب كلام الشارع الساقط.
4 - البيان الشافي.
5 - العرض السليم.

وأخيرا فهذه اقتراحات للارتقاء بخطبة الجمعة إلى المستوى المنشود:

- عقد لقاءات تكوينية للخطباء والوعاظ.
- إحداث مادة فنون الدعوة ومناهجها في برامج التعليم.
- تأليف كتاب منهجي في مهارات إعداد وفنون إلقاء الخطب والدروس والمواعظ.
- انتقاء أهل العلم الصادقين والحكماء من المثقفين لخطبة الجمعة.

والسلام.

د. محمد الحفظاوي

إشراقة

ذ. عبد الحميد صدوق

هدي الأشراف في صيانة الأموال من الضياع والإسراف

لقد جبل الإنسان على شيء من الأثرة والحرص على ماله وممتلكاته، فقلما تجد الإنسان مسرفا ومضيعا لماله إلا في النادر، ولكن الأموال العامة وممتلكات الأمة فيها تقع معصية التضييع والتبذير غالبا، فيتسلط صاحب المنصب بغير حق على الأموال العامة عن الضياع والإسراف، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: حج عمر رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين فأنفق حجته ستة عشرا دينارا، فقال: يا عبد الله أسرفنا في هذا المال.

وكان يقول لهم رضي الله عنه: "لا يحل لعمر في مال الله إلا حليتين: حلج للشتاء، وحلة للصيف، وقوتي وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأناهم ولا بأفقرهم" (رواه ابن سعد من حديث الأحنف بن قيس).

وكان رضي الله عنه يرى التوسع في المطعم والمشرب استنفادا للطيبات في الحياة الدنيا ينعكس بالإفلاس يوم القيامة، فعن أبي مليكة قال: كلم عتبة بن فرقد عمر في طعامه فقال: ويحك! آكل طيباتي في حياتي الدنيا وأستمتع بها. وكان رضي الله عنه يرى أيضا أن الإسراف في أكل المرء كل ما يشتهي، فقد دخل على ابنه عاصم وهو يأكل لحما فقال: ما هذا؟ قال: قرمنا إليه، قال: أو كلما قرمت إلى شيء أكلته؟ كفى بالمرء سرفا أن يأكل ما يشتهي.

وكان رضي الله عنه لا يجمع بين إدامين ويعده إسرافا، فعن الأحوص بن حكيم عن أبيه: أتى عمر بلحم فيه سمن، فأبى أن يأكلها، وقال: كل واحد منهما إدام. وأشد من هذا قبحا وإثما من يتلف ماله في معاصي الله تعالى، فيستعين بمال الله على معاصيه، ويدخل في عموم النهي عن إضاعة المال القليل منه والكثير.

وعن وراد كاتب المغيرة بن شعبة قال: أملى على المغيرة بن شعبة في كتاب إلى معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما مانعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد» وكتب إليه أن «كان ينهي عن قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال، وكان ينهي عن عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات» (متفق عليه)، وسبق شرحه.

قوله: «لا ينفع ذا الجد منك الجد» قال الخطابي رحمه الله تعالى: الجد الغنى، ويقال الحظ. أي لا ينفع ذا الغنى عندك غناه، إنما ينفعه العمل الصالح. وقال الراغب: المراد به هو أبو الأب، أي لا ينفع أحدا نسبه.

قوله: «وكان ينهي عقوق الأمهات» قال النووي: لأن أكثر العقوق يقع للأمهات، ويطمع الأولاد فيهن. وقال القرطبي: العقوق:و مصدر عق يعق، عقوقا، أي قطع وشق. فكأن العاق يقطع ما أمره الله تعالى به من صلتهما، ويشق عصا طاعتهما. «ومنع وعات» وهو أن يمنع ما وجب عليه بذله، ويطلب شيئا يحرم عليه طلبه. اهـ

نصوص الإعجاز القرآني (2)

تُعنى هذه الزاوية بجمع ما تناثر من نصوص الإعجاز القرآني في غير مصادره المتخصصة، وما تناثر في هذه المصادر لكن لغير مؤلفيها، كما تُعنى بتصنيفها حسب تاريخ وفاة أصحابها، وذلك خدمة لمكتبة هذا العلم، وفتحا لآفاق جديدة للبحث فيه، ومحاولة لإقامة (الموسوعة التاريخية لنصوص الإعجاز القرآني في التراث العربي).

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)

(1)

«وأما قولهم للنبي ﷺ: اجعل لنا الصفا ذهباً، فإن الله لا يعطي الناس الأعلامَ على قدْر شهواتهم وامتحانهم وتمنيهم، ولا على سبيل التفكّه، فإذا لم يُعطهم ذلك على سبيل التفكّه فإعطاؤهم إياها على سبيل التعنّت أبعد، ولا يجب ذلك إلا لمن لم يَسمع بآية ولم ير علامة.

فأما المغموسُ فيها ومن قد غمرته البرهانات فليس من الحكمة تمكين السفهاء من مسألة ذلك، وإنما ينزّل اللهُ الأعلامَ على قدْر المصلحة لا على أقدار الشهوة، وعلى إلزام الحجة لا على الطلب والمسألة، ومتى كان الطالب لذلك مُعانداً وجاسياً لم يكن إلا بين أمرين، إن جلاها لعَنَته وإجابته إلى مسألته، قال: هذا سحر، وإن منَعها قال: لو كان صادقاً لأتى بها، وآياتُ الله وبرهاناته أجل خطراً من أن تُوضع في هذا المكان، إلا أن يريد الله ببعض ذلك تعذيبَهم واستئصال شأفتهم، وأن ينكّل بهم سواهم».

[البرصان والعرجان، ص: 38]

(2)

«وأهلُ الأمصار إنّما يتكلمون على لُغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك تَجد الاختلافَ في ألفاظٍ من ألفاظِ أهل الكوفة والبَصرة والشام ومصر.

حدّثني أبو سعيد عبدُ الكريم بن رَوح قال: قال أهل مكّةَ لمحمّد بن المُناذِر الشاعر: ليست لكم معاشرَ أهل البصرة لغةٌ فصيحة، إنّما الفصاحة لنا أهلَ مكّة، فقال ابن المُناذر: أمّا ألفاظُنا فأحْكَى الألفاظ للقرآن، وأكثرُها له موافقةً، فضَعُوا القرآنَ بعدَ هذا حيثُ شئتم:

أنتم تُسمُّون القدر بُرْمَة وتجمعونَ البُرمة على بِـرَام، ونحن نَقول قدر ونجمعها على قُدور، وقالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ (سبأ: 31).

وأنتم تسمُّون البيت إذا كان فوق البيت عُلِّيَّةً، وتجمعون هذا الاسم على عَلالِيّ، ونحن نسمِّيه غرفة ونجمعها على غُرفات وغرف، وقال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ﴾ (الزمر: 20)، وقال: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ (سبأ: 73).

وأنتم تسمُّون الطَّلعَ الكافورَ والإغْريضَ، ونحن نُسمّيه: الطَّلْع، وقال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿وَنَخْلٍ لَهَا طَلْعٌ هَضِيمٌ﴾ (الشعراء: 841).

فعدّ عشر كلمات لم أحفظ أنّا منها إلا هذا...

وقد يستخفُّ النّاسُ ألفاظاً ويستعملونها وغيرُها أحقُّ بذلك منها:

"ألا ترى أن اللهَ تبارك وتعالى لم يذكُر في القرآن الجوعَ إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدْقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السَّغَب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة.

وكذلك ذكر المطر؛ لأنّك لا تجد القرآنَ يلفظ به إلاّ في موضع الانتقام. والعامّة وأكثرُ الخاصّة لا يَفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث.

ولفظُ القرآن الذي عليه نَزَلَ أنّه إذا ذكر الأبصار لم يقُل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأَرَضين، ألا تراه لا يجمع الأرض أَرَضين، ولا السمعَ أسماعا، والجاري على أفواه العامة غيرُ ذلك، لا يتفقّدون من الألفاظ ما هو أحقُّ بالذكر وأولى بالاستعمال.

وقد زعم بعضُ القرّاء أنّه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلاّ في موضع التزويج.

والعامّة ربّما استخفت أقلّ اللغتين وأضعفهما، وتستعمل ما هو أقلّ في أصل اللغة استعمالاً وتدَعُ ما هو أظهر وأكثر، ولذلك صِرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجودُ منه، وكذلك المَثَل السّائر...

وفي القرآن معان لا تكاد تفترق، مثل الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرَّغبة والرهبة، والمُهاجرين والأنصار، والجنّ والإنس".

[البيان والتبيين، 1/18-21]

(3)

«ولا بد من أن نذكر فيه [أي: الجزء الثاني] أقسام تأليف جميع الكلام، وكيف خالف القرآنُ جميعَ الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور غير مقفى على مخارج الأشعار والأسجاع، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان، وتأليفه من أكبر الحجج».

[البيان والتبين، 1/383]

(4)

«وقد جَعَل اللَّهُ قومَ كلِّ نَبيٍّ هم المبلغين والحجّة. ألا ترَى أنّا نزعُم أنَّ عَجْزَ العرب عن مثل نَظْم القرآن حجّةٌ على العجم من جهة إعلام العرب العجمَ أنّهم كانوا عن ذلك عَجَزَة.

وقد قال النبيُّ ﷺ: «خُصصْت بأمور: منها أنّي بُعثت إلى الأحمر والأسود، وأُحلّت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طَهُوراً»، فدلَّ بذلك على أنَّ غيرَه من الرّسُل إنّما كان يُرسَل إلى الخاصّ، وليس يجوز لمن عَرَف صدقَ ذلك الرسول من الأمَم أن يكذّبه ويُنكر دعواه، والذي عليه تركُ الإنكار والعملِ بشريعة النبيِّ الأوّل. هذا فرق ما بينَ مَن بُعث إلى البعض، ومن بُعث إلى الجميع».

[البيان والتبين، 3/295]

(5)

«... ولأن الله تعالى اختارهم لصحبة نبيه ﷺ، ولأن القرآن نطق بفضيلتهم، والله تعالى أعلم بمن بعدهم، والذي جمع أسلافَنا الذين جمعوا الناس على قراءة زيد، دون أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، والذين رأوا من قول عبد الله في المعوّذتين، وقول أبي في سورتي الحفد والخلع. ومن تعلق الناس بالاختلاف، فكانوا لا يزالون قد رأوا الرجل يروي الحرف الشاذ، ويقرأ بالحرف الذي لا يعرفونه، فرأوا أن تحصينه لا يتم إلا بحمل الناس على المقروء عندهم، المشهور فيما بينهم، وأنهم إن لم يشددوا في ذلك لم ينقطع الطمع، ولم ينزجر الطير، لأن رجلاً من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة، طويلة أو قصيرة، لتبين له في نظامها ومَخرجها، وفي لفظها وطبعها، أنه عاجز عن مثلها. ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها. وليس ذلك في الحرف والحرفين، والكلمة والكلمتين.

ألا ترى أن الناس قد كان يتهيأ في طبائعهم، ويَجري على ألسنتهم أن يقول رجلٌ منهم: الحمد لله، وإنا لله، وعلى الله توكلنا، وربُّنا الله، وحسبُنا الله ونعم الوكيل، وهذا كلُّه في القرآن، غير أنه متفرّق غير مجتمع؛ ولو أراد أنطقُ الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورةً واحدة، طويلة أو قصيرة، على نظْم القرآن وطبعه، وتأليفه ومخرجه لما قَدَر عليه، ولو استعان بجميع قَحطان ومَعدّ بن عدنان.

ورأوا بفهمهم وبتوفيق الله تعالى لهم أن يحصّنوه مما يشكل، ويمكن أن يُفتعَل مثله من الحرف والحرفين، والكلمة والكلمتين، وقد كانوا عرفوا الابتداع الكثير على البلغاء والشعراء، وخافوا إنْ هم لم يتقدموا في ذلك أن يتطرَّفوا عليه، كما تطرفوا على الرواية، لأنهم حين رأوْا كثرة الرواية في غير ذوي السابقة، ورأوا كثرة اختلافها، والغرائبَ التي لا يعرفونها، لم يكن لهم إلا تحصين الشيء الذي عليه مدارُ الأمر، وإن كانوا يعلمون أن الله بالغُ أمره.

فعلى الأئمة أن تحُوط هذه الأمة، كما حاط السلف أوّلها، وأن يعملوا بظاهر الحيطة، إذ كان على الناس الاجتهاد، وليس عليهم علمِ الغُيوب. وإنما ذلك كنحو رجُل أبصر نبياً يحيي الموتى فعَرف صدقه، فلما انصرف سأله عنه بعضُ من لم ير ذلك ولا صحّ عنده، فعليه أن لا يكتمه، وإن كان يعلم أن الله تعالى سيُعلِمه ذلك من قبل غيره، وأنه عز ذكره سيُسمِعه صحَّته على حبِّه وكرهه».

[حجج النبوة، رسائل الجاحظ، 3/228-230]

د. الحسين زروق

مقاصد القرآن الكريم
موضوع العدد الثالث من مجلة الترتيل

صدر العدد الثالث من مجلة الترتيل، وهي مجلة علمية محكمة تعنى بالدراسات القرآنية، تصدر عن مركز الدراسات القرآنية التابع للرابطة المحمدية للعلماء - المغرب، في ذو القعدة 1437هـ/ شتنبر 2016م.

وقد حوت المجلة افتتاحية بعنوان "حول مقاصد القرآن الكريم" كتبها الأستاذ الدكتور أحمد عبادي الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء ركز فيها على دور القرآن الكريم في إحداث نقلات منهجية بعيدة في كينونة الإنسان وواقعه، حيث أصبح هو مصدر المعرفة بعد أن كانت هذه الأخيرة أمرا تولده العقول في نظر الناس، ولذلك وجهت إليه جهود الأمة بغية استخراج المعاني المعقولة والغايات المتنوعة التي يدور حولها القرآن الكريم كليا وجزئيا، والمقاصد التي نزل من أجلها تحقيقا لمصلحة العباد، وسعادة الخلق في الداريين.

ومن مقومات ذلك كما أشار الكاتب: "إدراك النواظم المنهجية الكلية المطلقة التي تشكل أعمدة كل المقاصد والقيم وفي مقدمتها منظومة المقاصد العليا الحاكمة القرآنية، وهي التوحيد، والتزكية، والعمران، وما يندرج تحتها من المقاصد والقيم، التي تحتاج إلى جهود متكاملة ومتضافرة لتجليتها ثم تفعيلها حتى تبرز وظيفتها في سياقها الراهن".

إلى جانب الافتتاحية تضمن العدد موضوعات ذات صلة بملف العدد وهي :

- التفسير المقاصدي وعلم مقاصد الكتاب المجيد، للدكتور إسماعيل الحسني.
- الخطاب القرآني بين النظر المقاصدي والقراءة الحداثية دراسة لآيات الأحكام، للدكتور الشيخ التيجاني أحمدي.
- مقاصد القرآن الكريم قراءة معرفية، للدكتور محمد المنتار.
- سؤال التسخير الكوني للإنسان رؤية مقاصدية، للدكتور مسفر بن علي القحطاني.

وفي محور مفاهيم قرآنية من المجلة تمت دراسة "مفهوم الأمن في ضوء مقاصد القرآن الكريم، محاولة في التفسير الموضوعي" من إعداد الدكتور محمد إقبال عروي.

وتضمن محور قراءات ومراجعات دراستان الأولى منهما في موضوع: "إشكال علم التفسير من خلال مقدمات تفسير التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور للأستاذ محمد البويسفي، والثانية في موضوع: "المقاصد القرآنية العليا الحاكمة عند العلامة طه جابر العلواني" للدكتورة فاطمة الزهراء الناصري.

وفي محور "بصائر" أوضح الدكتور أحمد عبادي بعضا من الهدايات التي تبرز حين النظر في مقصد التعارف باعتباره مقصدا من مقاصد الإسلام، انطلاقا من قوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

أما الركن الخاص بالمتابعات فتضمن تقريراً عن "المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع بناء «علم أصول التفسير: الواقع والآفاق»" للأستاذ محمد لحمادي. بالإضافة إلى لقاء مركزي تمت فيه "مدارسة علمية مع الدكتور ناجي بن الحاج الطاهر قصد بلورة واستكشاف الرؤية الكلية للقرآن الكريم" مع قراءة في كتاب "الخطاب القرآني ومناهج التأويل نحو دراسة نقدية للتأويلات المعاصرة"، للدكتور عبد الرحمن بودرع.

أمتنا ناهضة رغم الجراح (3/3)

الطريـــق إلى الأمـــل

استكمالا لما بدأناه من قبل من حديث عن معنى الأمل في ظل الأجواء التي يعيشها المسلم وأمته اليوم، يأتي هذا المقال لرسم طريق عملي نتحول به من التنظير إلى التطبيق، إذ العبرة في الإسلام بالعمل لا بالكلام.

خطوات عملية لتحصيل الأمل:

1 - الارتباط الوثيق بالقرآن الكريم:

إن ارتباط المسلم بالقرآن الكريم أكبر سبب عملي لتجديد الإيمان، فالوعود الربانية في آياته تُنفث في روح المسلم روحا جديدة وثابة وأملا لا تحطمه الأزمات ولا تقوى عليه الصدمات، روح تتعالى على كل الآلام وتتجاوز كل العقبات، ذلك لأن القرآن بسحره العجيب، وتأثيره الرباني المتميز يحول نفسية المرء من نفس لا تعرف التحليق نحو الكمال إلى نفس تأنف من توافه الأمور وصغارها، وعند تلاوته يستعرض المؤمن صور الصراع بين الحق والباطل التي تنتهي دائما إما بدخول أهل الباطل في الإيمان بالحق الذي دُعوا إليه، وإما بانتصار أهل الحق عليهم حال إعراضهم؛ لأن الله سبحانه قد حكم بأن العاقبة للمتقين، وقد قرأنا في التاريخ أن الجيوش الإسلامية كانت تصحب معها قارئا للقرآن يقرأ على رأس الجيش سورة الأنفال حفزا لنفوسهم وتحريكا لهممهم، إن المؤمن يوقن عند قراءته للقرآن أنه منتصر على كل حال متى كان ثابتا على الحق الذي يؤمن به حتى وإن قتل أو عذب أو سجن أو أحرق، ولا يقدر عدوه على زحزحته عن الحق الذي يحمله، ويرى أن القرآن يشرح الحقيقة كما هي، شرح علام الغيوب الذي يعلم السر في السماوات والأرض، فهو يبين للمؤمنين عدة حقائق منها:

- ضعف العدو وبطلان مسلكه، مع إمكانية الانتصار عليه.
- قوة المؤمن وأحقية ما لديه من رسالة متى فهمها وتحرك لخدمتها.
- ضرورة الابتلاء مع وجوب عدم التسليم للآثار السلبية لذلك الابتلاء، بل يدعوه وجوب التخلص من تلك الآثار، والاستفادة من النتائج الإيجابية للابتلاء من التمحيص وقوة النفس والاستفادة من التجارب. فعلى المسلم أن يعالج نفسه المحبطة بالقرآن تلاوة وتدبرا ومعايشة وتطبيقا وفق برنامج دائم لا ينقطع.

2 - التخلص من آثار المعاصي:

فإن المعصية سبب في انهيار مقترفها وقت المحن والشدائد، وقد بين الله تعالى ذلك في قوله: ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا﴾ (آل عمران: 155). جاء في الموسوعة القرآنية: "يعنى أن الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا، فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا. وقيل: استزلال الشيطان إياهم هو التولي، وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم، لأن الذنب يجر إلى الذنب، كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة". كما أن المعاصي من أكبر أسباب الهزائم المادية والنفسية، فعلى المسلم لكي يكون ثابت الجأش أن يتخلص من المعاصي بالبعد عنها ابتداء وبالتوبة منها ابتداء، وأتبع السيئة الحسنة تمحها.

3 - العيش في رحاب العاملين:

من ترك نفسه وحيدا دون صحبة عاملة تذكره بالحق وتعينه عليه، فإنه مع أول نظرة لحال الأمة اليوم سيأكله الأسى، ويفضي به إلى اليأس ويسوقه إلى القعود عن فعل شيء. لكنه متى صحب أولي العزم من الرجال، وبحث عن العاملين للإسلام ونظر في وجوههم المنيرة، واستمع إلى كلماتهم المخلصة، وشاهد أحوالهم وبذلهم فإنه لا شك سيتحرك ليكون مثلهم، والعامل المتحرك لهذا الدين لن يصيبه اليأس وهو يستمد من ربه العون والنصر ويستلهم الثبات من حال هؤلاء الصلحاء.

4 - التخلص من شباك الحرب النفسية، وعدم الإصغاء للمحبطين المثبطين:

فإن الإعلام العالمي من أكبر أعماله وأخطرها تلك الحرب النفسية التي يمارسها تجاه شعوب بعينها، حيث لا يصدر إليهم إلا صور القتل والهزائم والتخلف، ويقنعهم أنه لا أمل في الخلاص ويضغط عليهم حتى يجعلهم في تبعية دائمة له، ويصدر قيَمَه على أنها القيم العالمية التي يجب على العالم كله اتباعها، وكأنها أمر مسلم لا فرار منه، ومع ضعف معاني العقيدة وشيوع المنكرات وقلة العلم في الأمة صار البعض مهزوما نفسيا، ومتى عاد المسلم إلى هويته ولجأ إلى ربه كان في مأمن من الإحباط واليأس.

5 - الاستمرار في العمل والبذل مهما كانت النتائج:

إن من أكبر عوامل اكتساب الأمل أن يستمر الحامل لهذا الدين في خدمة الإسلام ونفع الناس مهما كانت الظروف وأيا كانت النتائج، فالتوقف بداية الإحباط ودوام العمل طريق الأمل، ولذلك جاء القرآن بعد هزيمة أحد مباشرة يدعو المسلمين لعدم الاستسلام لنفسية الهزيمة، وحالة الانكسار قائلا لهم: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (آل عمران: 139). وقديما قالوا: عليك أن تسعى وليس عليك إدراك النجاح.

وفي سبيل بعث الأمل من الضروري أن يلزم المسلم الاستعانة بالله تعالى فهو نعم المولى ونعم النصير ونعم الوكيل، ولا يتوقف عن محاسبة نفسه وتقييم أعماله، والاستفادة من تجارب الآخرين.

وختاما: فإن الاطلاع على تاريخ الأمم وتقلبات التاريخ وأحوال الشعوب ومعرفة فعل الله تعالى في الخلق حيث تفريج الكربات، وتنفيس الهموم، وكسر الظالمين، ونصرة المظلومين، وتداول الأيام كل ذلك وغيره مؤذن بروح جديدة يتبدل فيها حال المؤمن من حال اليأس إلى حالة البشرة والأمل، وأخير ليعلم المؤمن أن اليأس قرين الكفر ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾.

د. أحمد زايد

التوريث الديني

أساس التوريث الحضاري (1)

في العدد السابق 471 وقفنا على قاعدة من سنن فقه التوريث الحضاري وهي أن وجود الحضارة وضمورها يدور وجودا وعدما مع عملية التوريث، والتوريث الحضاري الفعال سبيله التربية والتنشئة الاجتماعية، وسبق أيضا تقرير قاعدة أخرى وهي أن الحضارات الإنسانية جوهرها ديني.

وبناء عليه فإن التوريث الديني سيكون أهم عمليات التوريث الحضاري وعليه المدار في تأهيل الإنسان للاستخلاف الحق. وندلل على هذه الدعوى من القرآن الكريم والسنة بما يجلي أن أمة الإسلام لا شهود لها ولا استخلاف إلا يوم تجعل الاختيار التربوي أس الاختيارات في مشروع الشهود الحضاري، وتجعل من التربية القرآنية أم الاختيارات التربوية.

وجملة ما أفضى إليه النظر في الآيات المتعلقة بالوراثة والإراثة هو تقسيمها إلى ما يتعلق بالوارث أولا، وبالمورَث (الإنسان) ثانيا، وبالموروث (الأشياء) ثالثا، وبالأسباب الجالبة للإراثة رابعا، فكيف ذلك؟ وما علاقة ذلك بفقه سنن الحضارة؟ ونتناول ذلك إن شاء الله تعالى في حلقات بحسب ما يسمح به المقام وحيز المقال.

أولا في الوارث:

أغلب ما ورد في القرآن الكريم من فعل "ورث" ومشتقاته الفعلية والاسمية تسند الفعل إلى الله تعالى؛ فهو الذي يرث وهو الوارث، وهو الذي يُورث وهو المُورِث، ولا أحد يرث شيئا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بإراثة الله تعالى له، ولا شيء مُورَث إلا والله تعالى هو الذي يُورِثه؛ ومن الآيات الناطقة بهذه الحقيقة:

1 - الله هو الوارث حقيقة وبإطلاق:

- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (مريم : 40).
- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ (الحجر:23).
- ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (آل عمران:180، والحديد:10).

وهذه الآية نص في الباب بعمومها وقطعية دلالتها على المراد فمن كان يملك السماوات والأرض: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ (المائدة: 17)، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (المائدة: 18)، كان هو الوارث حقا وبإطلاق ومن غير منازع ولا مدافع، وكان كل إرث إنما هو إرثه وملكه بل حتى الوارثين من دونه إنما هم خلقه ومن جملة ميراثه جل وعلا.

2 - الله تعالى هو المُورِث ما يشاء لمن يشاء، وتظهر المُورِثات والمُورَثون في الآيات الآتية:

- **الله تعالى يورث الأرض لعباده المستضعفين:** ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ (الأعراف:137)، ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: 128).
- **الله تعالى يورث الكتابَ عبادَه المصطفين:** ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (فاطر: 32).
- **الله تعالى يُورث الجنة لعباده جزاء على عملهم، ويشهد له مثلا قوله تعالى:** ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم: 63).

3 - إسناد فعل "ورث" وصفة "الوارث" للإنسان إسناد مجازي، إذ لا حول ولا قوة للإنسان أن يملك شيئا إلا أن يملكه الله إياه ومن ثم لا يكون وارثا إلا حين يجعله الله كذلك، ومن الشواهد على ذلك:

- قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: 105)، فرغم أن فعل "يرث" أسند إلى عباد الله الصالحين فإنه لم يكن ذلك إلا بكَتْب الله تعالى ذلك والقضاء به "ولقد كتبنا"، فضلا عن أن الفعل ورد مسندا إلى الله تعالى في آية ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (الأعراف: 128).
- ويدخل في نفس المعنى ما ورد التعبير فيه بلفظ جعل مثل ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص:5)، فرغم أن الله تعالى نسب إليهم صفة الوراثة إلا أن ذلك مسبوق بجعل الله تعالى "ونجعلهم"، ولعلم الأنبياء بهذه الحقيقة ورد في دعاء النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ بما يشعر أن الإراثة حق من حقوق الله تعالى وصفة خاصة به.
- فعل "أُورث" ورد مبنيا للمجهول وفاعله حقيقة إنما هو الله تعالى؛ نحو:

• ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾ (الشورى: 14) دليله الآية السابقة في إسناد فعل إراثة الكتاب لله جل وعلا ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾.

• ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فالفعل المبني للمجهول فاعله معلوم هو الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم: 63).

ثانيا خلاصات ومستفادات:

من الآيات السابقة يمكن استفادة ما يلي:

• أن الله تعالى هو الوارث الحقيقي لكل شيء لأنه هو الخالق الرازق مالك الملك.

• لا شيء مورَث (أرض – كتاب – جنة)، ولا عبد مورَث إلا بعلم الله تعالى وإذنه وعدله وحكمته.

• مفهوم الإراثة لا يقتصر –ولا ينبغي له ذلك– على المفهوم المادي وحده ولا على الدنيوي فقط (وراثة الأرض في الدنيا) وإنما على مفاهيم دينية أيضا (وراثة الوحي)، ويمتد في الزمان ليشمل الآخرة (وراثة الجنة) وهذان النوعان هما الأساس وهما العمدة في الشهود وهما ما يميزان حضارة الإسلام.

• معيار الاستحقاق للإراثة المادية والمعنوية هو تحصيل الشروط الإيمانية:

فالأرض يورثها الله تعالى لعباده الصالحين والمستضعفين (الصلاح والاستضعاف بمعناهما القرآني)، والكتاب يورثه للمصطفين الأخيار، والجنة يورثها لعباده الصالحين الأتقياء؛ بمعنى أن التمكين والإراثة الحضاريين محكومان بموازين قرآنية ربانية (الصلاح – الخيرية – التقوى .....)

• إراثة الأرض ووراثتها ليست غاية في ذاتها وإنما هي مجرد وسيلة للاستخلاف الحق، الذي هو نفسه وسيلة لعبادة الله تعالى والفوز برضاه وفق ما نزل في الكتاب من توجيهات وهدايات.

• اختصاص الله تعالى بالإراثة وبموازينها دليل على العناية الربانية بملكه وبالإنسان، وفيه توجيه للإنسان للأخذ بتلك الموازين والاهتداء بها في الاستخلاف والإعمار المشروع.

• إذن فلا إراثة حضارية ربانية إلا إذا كان مدار التنشئة الاجتماعية والحضارية على غرس هذه الحقائق المتعلقة بالوارث الحقيقي (الله تعالى) وبالمورَث (أشياء وإنسانا) وبوظيفتهما ورسالتهما كما بينها الكتاب/ الوحي.

وهذه القاعدة هي أم القواعد الموجهة للمسلم والأمة المسلمة في حركتهما الحضارية انطلاقا واستمرارا، تدافعا وتمكينا. وكلما غابت عن الوعي وفُقِد أثرُها في الفعل فُقدت شروط الشهود الحضاري ودالت على الأمة الدول، وصارت –كما أخبر الرسول ﷺ– قصعة تتكالب عليها الأمم.

يتبع

الطيب بن المختار الوزاني

إفريقيا: إمكانات وتحديات وآفاق التعاون والتنمية

إفريقيا هي ثاني أكبر قارات العالم من حيث المساحة وعدد السكان، تأتي في المرتبة الثانية بعد آسيا. تبلغ مساحتها 30.2 مليون كيلومتر مربع (11.7 مليون ميل مربع).

ويبلغ عدد سكان إفريقيا مليار نسمة، وهي ثاني قارات العالم الأكثر احتواءً على المسلمين بحوالي 581،58 مليون مسلم، يمثلون تقريبا 53% من إجمالي عدد سكان القارة السمراء.

إمكانات كبرى:

تعتبر قارة إفريقيا من أغنى القارات العالمية بمؤهلاتها الطبيعية وقوتها العددية السكانية، وتنوعها الثقافي، وموقعها الاستراتيجي العالمي في التعامل مع قارات العالم كله.

- التنوع المناخي:

فامتدادها من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى جنوب خط الجدي وبموقع بحري من جميع الجهات يجعل مناخها متنوعا بين: المناخ المتوسطي والمداري والاستوائي، كما يجعل مناطقها الساحلية ذات مناخ بحري يتيح لها أنشطة إنسانية اقتصادية مهمة.

- الثروة الحيوانية:

يعطي تعدد المناطق المناخية للقارة غنى في الثروة الحيوانية البرية والبحرية التي تمنح القارة تميزا خاصا في الوفرة والتنوع الغذائيين بين الثروة الحيوانية البرية والبحرية. فعلى سبيل المثال يساعد قطاع الثروة السمكية بتوفير الدخول لحوالي 10 مليون إفريقي يعمل بمهنة صيد الأسماك كما أن قيمة الأسماك التي يتم تصديرها من القارة الأفريقية تصل إلى 2،7 مليار دولار أمريكي. ويمثل إنتاج الأسماك من مصادر المياه العذبة بالقارة حوالي ثلثي إنتاج العالم، كما تحتوي المياه العذبة على حوالي 3000 نوع من الأسماك.

- الثروة المائية والنباتية:

رغم أن كثيرا من أراضي القارة السمراء تعتبر صحاري ومناطق جافة مناخيا إلا أن القارة مع ذلك تستفيد من غطاء نباتي وثروة مائية هائلة في المناطق الاستوائية والساحلية حيث تعتبر القارة من أغنى المناطق العالمية في الثروة النباتية والمائية في الوسط والغرب والشرق والشمال، مما يعد من المؤهلات الحقيقية لسد الخصاص والاستثمار في القطاع الفلاحي الزراعي والحيواني والصناعات الغذائية، فالإنتاج الزراعي يساهم بحوالي 20 – 60% من إجمالي الناتج القومي لكل دولة من دول القارة. وفي المناطق الاستوائية يتم زراعة الأناناس والقهوة والكاكاو والنخيل لاستخراج الزيت منه، أما في مناطق السافانا فيتم إنتاج الفول السوداني والفلفل والبطيخ، وفي مناطق الصحراء تكثر زراعة القطن ونخيل البلح، وفي حوض البحر المتوسط يتم زراعة الزيتون والحمضيات والطماطم وعدد كبير من الخضروات. كل هذا التنوع يتيح فرصا حقيقية وكبيرة للتنمية والتكامل الاقتصادي بين شعوبها ودولها.

- الثروة المعدنية:

تمتلك إفريقيا إلى جانب ثرواتها النباتية والحيوانية ومؤهلاتها الفلاحية ثروة معدنية هائلة كما ونوعا:

ففي مجال البترول والغاز الطبيعي: تملك القارة حوالي 124 مليار برميل من احتياطي النفط، وهو ما يقدر بحوالي 12% من إجمالي احتياطي النفط العالمي، هذا بالإضافة إلى 100 مليار برميل على شواطئ القارة في انتظار أن يتم اكتشافها.

وتتركز الثروة النفطية بالقارة في دول نيجيريا والجزائر ومصر وأنجولا وليبيا والسودان وغينيا الاستوائية والكونغو والجابون وجنوب أفريقيا. ومن مميزات النفط والغاز الطبيعي الإفريقي سهولة استخراجه وتسويقه نتيجة لموقع القارة الاستراتيجي بين قارات العالم.

اليورانيوم: تتميز القارة الإفريقية بكميات كبيرة من عنصر اليورانيوم الهام في الصناعات النووية. وتشارك إفريقيا بأكثر من 18% من إجمالي الإنتاج العالمي لليورانيوم. ويوجد في دول أهمها النيجر، وناميبيا، وجنوب إفريقيا. وتصل احتياطات القارة إلى ثلث إجمالي احتياطات العالم من هذا العنصر الهام.

الذهب: في عام 2008م أنتجت القارة الإفريقية حوالي 483 طنًا من الذهب، بما يمثل حوالي 25% من إجمالي إنتاج العالم. ونصف إنتاج القارة من الذهب يتم عبر جنوب إفريقيا بالإضافة لدول أخرى، مثل: غانا، وغينيا، ومالي، وتنزانيا.

وتمتلك القارة احتياطات من الذهب تقدر بحوالي 50% من إجمالي احتياطات العالم.

الألماس: تتصدر القارة الإفريقية سوق الألماس العالمي؛ حيث تقوم بإنتاج 40% من إجمالي الألماس عبر العالم.

يتركز الألماس في دول بتسوانا وأنجولا وجنوب إفريقيا والكونغو الديمقراطية وناميبيا.

المدهش في الأمر أن العديد من الحروب الأهلية في القارة تم تمويلها باستخدام الألماس الذي تنتجه القارة، حتى إن الألماس الذي يأتي من مناطق الصراعات والحروب يتم إطلاق أسماء عليه مثل: "ألماس الصراعات"، أو "ألماس الدم".

معادن أخرى: تنتج أفريقيا 80% من إجمالي البلاتين المنتج حول العالم.

كما تنتج 27% من إجمالي كمية الكوبالت المنتجة حول العالم.

وبالنسبة للحديد فتقوم القارة بإنتاج ما نسبته 9% من إجمالي إنتاج الحديد حول العالم.

ويتراوح احتياطي القارة من الحديد والمنجنيز والفوسفات واليورانيوم من 15 – 30% من إجمالي الاحتياطي العالمي لهذه المعادن.

كما يعتقد أن القارة تمتلك احتياطات تقدر بحوالي 90% للكوبالت، و90% للبلاتين، و95% للكروم، و64% للمنجنيز.

وبناء على هذه الأهمية الاستراتيجية للثروة المعدنية فإن كثيرا من الخبراء يرون أن القارة الأفريقية ستكون المورد الأساسي للصناعة في العالم مستقبلا، وأن كل دول وقارات العالم التي تعاني من شح ونضوب تدريجي في مواردها المعدنية حاليا، ستعتمد في المستقبل على ما تنتجه أفريقيا من معادن إذا ما أرادت لعجلة حركتها الصناعية والاقتصادية أن تدور وتستمر.

تحديات كبرى:

على الرغم من الأهمية الكبيرة لما تمتلكه إفريقيا من الثروات بمختلف أنواعها البشرية والنباتية والحيوانية والمعدنية فيلاحظ الخبراء أنها لا تستفيد منها بشكل كاف، ولذلك تعد إفريقيا القارة الأكثر تخبطا في المشاكل الاجتماعية والتنمية، ومن أبرز التحديات والمعضلات:

- **الصراعات والحروب والنزاعات على الحدود والحروب الأهلية وغياب الاستقرار:** وذلك بسبب التركة الاستعمارية وبسبب الصراع العرقي وغياب العدالة الاجتماعية والمناخ السياسي غير العادل، وبسبب وجود أنظمة حكم عسكرية أو قبلية. وقد كانت هذه الحروب والنزاعات سببا في عقد كثير من القمم الإفريقية.
- **أعباء الديون الثقيلة:** إذ ارتفع المقدار الكلي للديون من 109.2 بلايين دولار أمريكي في عام 1980 إلى 350 بليون دولار أمريكي عام 1999 .
- **بطء التنمية وضعفها:** تعاني القارة من ضعف التنمية وضعف استثمار ثرواتها الفلاحية والزراعية والإمكانات الطبيعية، مما يجعلها تعيش تناقضا مزمنا بين الغنى الطبيعي والفقر الاجتماعي والهشاشة الاقتصادية، وإذا كانت أفريقيا من أغنى القارات من حيث الموارد فهي من أفقرها من حيث الاستثمار.

على الرغم من الأهمية الكبيرة لما تمتلكه إفريقيا من الثروات بمختلف أنواعها البشرية والنباتية والحيوانية والمعدنية فيلاحظ الخبراء أنها لا تستفيد منها بشكل كافٍ، ولذلك تعد إفريقيا القارة الأكثر تخبطا في المشاكل الاجتماعية والتنمية.

يعتبر المغرب اليوم -بما راكمه من تجربة تاريخية فكريا ودينيا واجتماعيا واقتصاديا- قادرا على القيام بأدوار طلائعية في هذا الربط القاري وإحياء العلاقات الإفريقية العربية والإسلامية في جو من التعاون والتسامح والتشارك وتبادل التجارب والخبرات.

آفاق الشراكة والتعاون المغربي الإفريقي:

تعتبر القارة الإفريقية العمق الطبيعي للمغرب جغرافيا وتاريخيا وثقافيا واقتصاديا، وتربط المغرب بالقارة روابط تاريخية عميقة وصلات دينية وسياسية لم تنقطع عبر الزمان، وظل المغرب قبلة من الناحية العلمية ومعبرا تجاريا مهما نحو أوروبا، خاصة مع دول غرب إفريقيا والسودان.

وفي المرحلة المعاصرة اشترك المغرب مع القارة الإفريقية كثيرا من الهموم السياسية والاجتماعية خاصة في مرحلة الاستعمار والنضال من أجل الاستقلال والخروج من الفقر والتخلف كما ساهم المغرب كثيرا في الاستقرار السياسي في كثير من البلدان التي تعرف حروبا أهلية ونزاعات (ست دول).

ورغم الغياب عن مؤسسة منظمة الوحدة الإفريقية من قبل والاتحاد الإفريقي بعد ذلك إلا أن المغرب ظل بلدا إفريقيا بامتياز وصديقا حميما لكل الأفارقة أفرادا وشعوبا ودولا. والمغرب مؤهل اليوم أكثر من أي وقت مضى لأداء أدوار كبيرة في مجال التنمية الاقتصادية والشراكة جنوب جنوب.

وفي المجال الثقافي والديني يملك مقومات التعاون المثمر؛ لأن إفريقيا بقدر حاجتها إلى التنمية الاقتصادية هي بحاجة أكثر إلى التنمية البشرية والتعاون الثقافي والديني للخروج من أزمات الصراع والتطرف والجهل والفقر وغياب الاستقرار الاجتماعي والسياسي. كما أن الحاجة داعية أكثر مما سبق إلى ربط إفريقيا بعمقها العربي الإسلامي إذ أغلب سكان إفريقيا مسلمون كما أن معظم دولها قديما وحديثا تربطها بالعالم العربي والإسلامي علاقات حسن جوار وتبادل اقتصادي، وتاريخ ذو هموم مشتركة في المرحلة الاستعمارية وما بعدها.

ويعتبر المغرب اليوم -بما راكمه من تجربة تاريخية فكريا ودينيا واجتماعيا واقتصاديا- قادرا على القيام بأدوار طلائعية في هذا الربط القاري وإحياء العلاقات الإفريقية العربية والإسلامية في جو من التعاون والتسامح والتشارك وتبادل التجارب والخبرات.

وإن عودة المغرب إلى العمل المؤسسي الإفريقي من داخل الاتحاد سيفتح آفاقا واسعا لمزيد من الشراكات الاستراتيجية والتعاون والتشارك الإيجابي الذي سيكون له ولا شك آثار إيجابية على مستقبل التنمية في إفريقيا والمغرب معًا.

الطيب بو المختار الوزاني

العلامة محمد بن معجوز المزغراني في ذمة الله تعالى

انتقل إلى عفو الله تعالى ورحمته العلامة الدكتور محمد ابن معجوز المزغراني يوم السبت 28 يناير 2017، ووري التراب يوم الأحد 29 يانير 2017 بعد أداء صلاة الجنازة عليه بمسجد الإمام علي وتمَّ دفنه بمقبرة باب الفتوح بالمدينة، وقد شهد جنازتَه جمعٌ غفير من العلماء ورؤساء المجالس العلمية وطلبة العلم وعائلته ومحبيه.

والمرحوم واحد من علماء القرويين بفاس، وعضو المجلس العلمي الأعلى، وأستاذ سابقا بكليتي الشريعة والحقوق بفاس، واشتهر بتخصصه في الدراسات الفقهية والقانونية المقارنة وكان من الرواد فيها.

• حياته العلمية:

بدأ الدكتور المزغراني حياته العلمية بالكتاب القرآني، فالمدرسة الحسنية التي أسسها الملك محمد الخامس رحمه الله بفاس، ثم التحق وهو دون العاشرة بجامعة القرويين التي تلقى بها طيلة اثني عشر عاما مختلف العلوم الإسلامية واللغوية على يد علماء متخصصين، وانتسب بعد ذلك لدار الحديث الحسنية وكلية الحقوق بالرباط، وكان هدفه الجمع بين دراسة الشريعة والعلوم القانونية ومناهجها، بغية المقارنة بين هذه القوانين وما يقابلها في الفقه الإسلامي، ليتأتى له بذلك خدمة الشريعة الإسلامية بإبراز مزاياها وفضائلها.

وهكذا حصل بإشراف من المرحوم علال الفاسي على دبلوم الدراسات العليا في القانون الخاص في موضوع: "السبب في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية"، كما حصل على الدكتوراه من دار الحديث في موضوع: «أحكام الشفعة في الفقه الإسلامي والتقنين المغربي المقارن».

• أعماله:

ساهم هذا العلم من أعلام البحث والتأليف والاجتهاد، والذي أغنى الخزانة الفقهية والقانونية ببلدنا والبلاد الإسلامية عامة، بعدد من الكتب والدراسات التي تعتبر بحق مراجع علمية مرموقة في أبوابها، يستفيد منها الطلاب والأساتذة والقضاة في أعلى درجاتهم، كما العدول والمحامون وسائر المهتمين بالدراسات الفقهية المقارنة.

صنف المرحوم المزغراني العديد من الكتب منها:

- أحكام الشفعة في الفقه الإسلامي والتقنين المغربي المقارن.
- محاضرات في المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية.
- وسائل الإثبات في الفقه الإسلامي.
- أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي على ضوء مدونة الأحوال الشخصية.
- الحقوق العينية في الفقه الإسلامي والتقنين المغربي، وهذا الكتاب الأخير يمكن اعتباره الأساس والمرجع الذي تم اعتماده في إخراج القانون 39.08 المتعلق بمدونة الحقوق العينية والتي صدرت في 22 نوفمبر 2011.

• مشاركاته:

. شارك رحمه الله تعالى في عدد من القضايا الوطنية والفكرية على رأسها إعداد "مدونة الأسرة"، مع ثلة من العلماء أمثال العلامة الدكتور محمد التاويل رحمه الله تعالى والعلامة الدكتور مصطفى بنحمزة وغيرهما، كما كانت له أكثر من مشاركة في "الدروس الحسنية" الرمضانية.

. تـوّج بجائزة الفكر والدراسات الإسلامية التي يشرف على تسليمها جلالة الملك، وبسبب مرضه فقد تسلمها نيابة عنه ابنه، وهذه الجائزة تمنح كل سنة مكافأة للشخصيات العلمية المرموقة؛ بغية تشجيع البحث العلمي في مجال الدراسات الإسلامية، وتشرف على هذه الجائزة لجنة علمية مكونة من العلماء والدكاترة تضم في عضويتها كلا من الدكتور محمد الكتاني، والدكتور محمد بنشريفة، والدكتور محمد يسف، والدكتور إدريس خليفة، والدكتور الشاهد البوشيخي، والدكتور أحمد شوقي بنبين، والدكتور أحمد شحلان، والدكتور أحمد قسطاس (مقرر اللجنة).

فرحم الله تعالى العلامة محمد ابن معجوز وأسكنه فسيح جنانه وبارك له فيما خلف من ذرية وعلم وطلبة.

تعزيـــة

تلقت جريدة المحجة ببالغ الأسى والحزن نبأ وفاة الأستاذ الشيخ العلامة الفقيه محمد بن معجوز المزغراني رحمه الله تعالى.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة المحجة بأحر التعازي إلى أسرة الفقيد وإلى كل محبيه سائلين الله العلي القدير أن يتقبله في مستقر رحمته ويقابله بعفوه وغفرانه، ويمتعه برضوانه ويسكنه فسيح جنانه، كما نسأل الله جل وعلا أن يرزق كل أسرته ومحبيه الصبر والاحتساب، ولا نملك إلا أن نقول (لله ما أعطى ولله ما أخذ)، و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

أساسيات في تنشئة الولد الصالح

إن ما تعانيه الأمة الإسلامية اليوم من انحلال وتفسخ أخلاقي وتذبذب في العبادات والمعاملات إنما هو بسبب غياب القواعد الأساسية في التربية وتنشئة الولد المسلم عليها، إذ هي الأساس الذي ينمو عليه هذا الولد المسلم في علاقته مع ربه، وفي علاقته مع غيره من جنسه، وفي أفكاره وثقافته...، وإليك بعض هذه المبادئ الأساسية:

– تعليم الولد النطق ب: "لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ"، مع تعليمه معناها الصحيح، وهو: "لا إله معبود بحق إلا الله، وأن محمدا عبد من عباد الله، رسول مبعوث من الله إلى عباد الله.

– تعليمه الصلاة في الصغر ليتدرب عليها فيلزمها في الكبر، لقول النبي ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر» (سنن أبي داود). والتعليم يكون بالوضوء والصلاة أمامهم، والذهاب بهم إلى المسجد، وتشجيعهم على الصلاة في الجماعة، خمسا كانت أو جمعة.

– تعويده على الصوم في صغره.

– تعريفه بعبادة الزكاة، وأنها حق الله، تخرج من مال الأغنياء فترد على الفقراء

– تعريفه عبادة الحج وأنه فرض على كل من استطاع إليه سبيلا، وأن من كانت له استطاعة على الحج ولم يفعل فقد أخل بركن من الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام.

وبالجملة فإنه يجب تعليم الولد أركان الإسلام التي قال فيها النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمسة، على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج» (صحيح مسلم).

– التفريق بين الذكور والإناث في المضاجع عند بلوغ عشر سنين، لئلا يطلع كل منهم على عورة الآخر فيقل الحياء ويقع زنا المحارم والعياذ بالله، قال الرسول ﷺ: «..وفرقوا بينهم في المضاجع» (سنن أبي داود).

– تعليم الولد أركان الإيمان الست وهي الإيمان بالله وملائكة وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، قال رسول الله ﷺ في جوابه عن سيدنا جبريل عليه السلام حينما سأله عن الإيمان: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره" (صحيح مسلم).

ومذهب السلف والخلف: أن من صدق بهذه الأمور تصديقاً جازماً لا ريب فيه ولا تردد: كان مؤمنا حقا، سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو عن إيمان جازم.

– تعليم الولد قراءة القرآن الكريم، والتأدب مع كلام الله تعالى حين قراءته له وعند سماعه من غيره، وأن لا يضع المصحف إلا في الأماكن الطاهرة النظيفة...

– غرس محبة الله ورسله في قلب الولد.

– تعليم الولد أن يسأل الله وحده ويستعين به في كل أحواله، لقوله ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله...» (سنن الترمذي) الحديث.

– تعويد الولد الصدق قولا وعملا، وذلك بأن لا نكذب عليه ولو مزاحا، وإذا واعدناه فلنوف بوعدنا، لقوله ﷺ: «من قال لصبي: تعال هاك، ثم لم يعطه فهي كذبة» (مسند الإمام أحمد).

– الحث على صحبة الرفقة الصالحة والتحذير من الرفقة السيئة، لقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الجليس الصالحُ والجليسُ السوءِ كحاملِ المسك، ونافخِ الكيْرِ فحاملُ المسك: إما أن يُحْذِيَكَ، وإما أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجدَ منه ريحا طيِّبة، ونافخُ الكير: إما أن يَحرقَ ثيابَكَ، وإما أنْ تجد منه ريحا خبيثَة» (صحيح البخاري)، ومعنى الحديث: أن النبي ﷺ شبه الجليس الصالح في دينه وخلقه بمن يحمل معه مسكا، وشبه جليس السوء بمن ينفخ كيرا، ثم بين وجه الشبه في قوله: «فحامل المسك إمّا أن يحذيك»؛ أي: فإذا جلست إلى حامل المسك لا بد أن تنتفع منه لأنه إما أن يهديك من الطيب الذي معه، وإما أن تبتاع منه؛ أي تشترى منه مسكا، وإما أن تجد منه (أي تشم منه) رائحة طيبة، وكذلك الجليس الصالح إما أن يفيدك بعلمه أو بنصحه وتوجيهه، أو حسن سلوكه بالاقتداء به. ونافخ الكير إذا صحبته لا بد أن يؤذيك فهو إما أن يحرق ثيابك من الشرر المتطاير وإمّا أن تجد منه ريحاً خبيثة من الدخان الذي يتصاعد من ناره فتشمّ منه رائحة كريهة تخنق أنفاسك، كذلك جليس السوء إما أن يغريك بالسيئة أو تقتدي بسلوكه السيء فتنحرف عن سواء السبيل، وفي الحديث: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» (مسند الإمام أحمد).

– تربية الولد على الشجاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على شدائد الدنيا من مرض وغيره، قال الله تعالى حاكيا عن سيدنا لقمان في وصيته لابنه: ﴿يا بني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور﴾ (لقمان:16).

– أن لا نطعم الأولاد بالمال الحرام، كالرشوة والربا والسرقة...؛ لأن ذلك سبب في شقائهم وتمردهم وعصيانهم...

– تعويد الولد استعمال اليد اليمنى في الأخذ والعطاء والأكل والشرب والكتابة... وكذلك التسمية في أول كل عمل خصوصا الطعام والشراب...، وأن يقول الحمد لله عند الانتهاء.

يوسف الميموني

تحسين نمط الاتصال والتواصل في العلاقات الأسرية (الأخيرة)

أهمية الحوار مع الأبناء

إذا كانت أفكار الأبناء تختلف عن أفكار آبائهم فكيف يلتقون معاً حتى تتم التربية حسب أصولها الصحيحة التي لابد فيها من مساحة كبيرة للحوار؟

خصوصاً إذا وضعنا في الاعتبار الصعوبة التي يجدها الطفل -غالباً- في استيعاب وهضم أفكار الكبار، تماماً كما يجد صعوبة في حمل مقدار الوزن الذي يستطيع والده أن يحمله.

ثم إن الأولاد غير مؤهلين لكي ينهلوا من أفكار آبائهم؛ لأن قدرات الأولاد غير متكافئة مع قدرات الآباء، فالأب مثلاً يستطيع أن يحمل حمولة ابنه جسمياً وفكرياً؛ بينما الابن لا يستطيع أن يحمل حمولة أبيه، كالطالب بالصفوف الثانوية قادر على استيعاب المنهج الابتدائي بسهولة بينما العكس غير وارد.

من هنا نجد أن الواقع يفرض نزول كل أب إلى مستوى أبنائه حتى يلتقي معهم، وحتى تثمر جهود الآباء في تحقيق التقارب وسهولة الالتقاء بأبنائهم في حوار ناجح"؛ يتطلب ذلك إلقاء الضوء على بعض الخطوات المهمة التي يجب مراعاتها وصولاً إلى هذا الهدف، مثل:

1 – النزول بالخطاب والحوار إلى مستوى الأولاد، مع بذل جهود متواصلة لرفع كفاءة التفكير لديهم واستيعاب الحياة بصورة تدريجية.

2 – احترام مشاعر وأفكار الأولاد مهما كانت متواضعة، والانطلاق منها إلى تنميتها وتحسين اتجاهها.

3 – تقدير رغبات الأولاد وهواياتهم والحرص على مشاركتهم في أنشطتهم وأحاديثهم وأفكارهم.

4 – الاهتمام الشديد ببناء جسور الثقة المتبادلة بين الآباء والأبناء التي تعتمد على غرس انطباع إيجابي عندهم يفضي إلى تعريفهم حجم المحبة والعواطف التي يكنها لهم آباؤهم، فلابد أن يحس الأولاد بأننا نحبهم ونسعى لمساعدتهم ونضحي من أجلهم.

5 – حسن الإصغاء للأبناء وحسن الاستماع لمشاكلهم؛ لأن ذلك يتيح للآباء معرفة المعوقات التي تحول بينهم وبين تحقيق أهدافهم، ومن ثمَّ نستطيع مساعدتهم بطريقة سهلة وواضحة.

6 – إن معالجة مشاكل الأبناء بطريقة سليمة تقتضي ألا يغفل الآباء أن كل إنسان معرض للخطأ ويتضح ذلك أثناء الحوار، وذلك حتى لا يمتنع الأبناء عن نقل مشاكلهم إلى الأسرة ثم يتعرضون لمشاكل أكبر أو للضياع، بل يتم مناقشة المشكلة التي يتعرض لها الابن بشكل موضوعي هادئ يتيح له قبول والاعتراف بمواطن خطئه، وبالتالي تجنب الوقوع فيها مرة أخرى.

7 – يجب ألا نلوم الأبناء على أخطائهم في نفس موقف المصارحة حتى لا نخسر صدقهم وصراحتهم في المستقبل، بل علينا الانتظار لوقت آخر ويكون ذلك بأسلوب غير مباشر.

8 – تهيئة الأبناء -من خلال الأساليب السابقة- لحل مشاكلهم المتوقع تعرضهم لها مستقبلاً في ظل تعريفهم بأسس الحماية والوقاية.

9 – عدم التقليل من قدرات الأبناء وشأنهم أو مقارنتهم بمن هم أفضل منهم في جانب معين؛ لأن هذا الأسلوب يزرع في نفوسهم الكراهية والبعد ويولد النفور، ويغلق الأبواب التي يسعى الآباء إلى فتحها معهم.

10 – إشعار الأبناء بأهميتهم ومنحهم الثقة بأنفسهم من خلال إسناد بعض الأعمال والمسئوليات لهم بما يتناسب مع أعمارهم وإمكانياتهم، مع استشارتهم في بعض التحسينات المنزلية أو المفاضلة بين عدة طلبات للمنزل، ثم عدم التقليل من جهود الأبناء لمجرد تواضع المردود عن المتوقع منهم؛ لأن ذلك قد يخلق تراجعاً في عطائهم وينمي فيهم الخمول والإحباط مستقبلاً.

11 – الاهتمام بالموضوعات والأحاديث التي يحبها الأبناء ويسعدون بها وتناولها بين الحين والآخر، إن ذلك يجعلهم يشعرون بمشاركة الأهل لهم في كل شيء، وأنهم يريدون إسعادهم وإدخال السرور على نفوسهم.

12 – يراعى أثناء الجلسات العائلية والمناقشات أن تُقَابل اقتراحات الأبناء وآراؤهم باحترام وقبول طالما أنها لا تخل بالأخلاق ولا تنافي تعاليم الإسلام.

وأخيرا...

فلنعلم أن أعمال الأبناء وأفكارهم وقدراتهم مهما كانت متقدمة فلن تسير على نهج أفكار الكبار، أو ربما لا تدخل في مجال اهتماماتهم ونظرتهم للحياة لوجود فارق زمني وثقافي ومكتسبات مختلفة وموروثات متنوعة تجعل الاتفاق على كل شيء أمر صعب.

وإذا كان الآباء يعرفون جيداً كيف يجاملون أصدقاءهم وينصتون إليهم ويحترمون أحاديثهم التي تتناول أشياء وموضوعات قد لا يعرفونها أو لا يحبونها، وقد يتظاهرون بالاهتمام والتفاعل إكراماً لمحدثهم، وربما بادروا بالحديث حول تلك الموضوعات لإشعار محدثهم بحجم الاهتمام به، أفلا نتفق على أن أبناءنا أوْلى بهذا النوع من الرعاية؟

نعم إنهم أحق وأولى بالاهتمام والرعاية والاحترام لأحاديثهم وأفكارهم وهواياتهم التي غالباً ما تدور حول دراستهم وآرائهم الاجتماعية والرياضية وأمانيهم للأيام القادمة.

إننا بذلك نستطيع أن ندخل إلى عقولهم ونسكن قلوبهم الخضراء الصغيرة بسهولة ويسر، ونكون قد بنينا جسور الالتقاء معهم لنقودهم إلى ما فيه خيرهم ورشادهم في الدنيا والآخرة..

> • الحياة الأسرية حياة مقدسة يجب أن تكون تحت مظلة ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾.
> • أن يعي الزوج حقوق الزوجة، ويتعامل معها من منطلق: «خيركم.. خيركم لأهله».
> • أن تعي الزوجة حقوق زوجها، وتتعامل معه من منطلق: «إنما هو جنتك ونارك».
> • أن يعي الزوجان أن الأبناء أمانة في أعناقهما ويحسنا تربيتهم من منطلق: «اتقوا الله.. واعدلوا بين أبنائكم».
> • الإيمان بالحوار بين الزوجين والأبناء والجميع من باب: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾.

قواعد وخلاصات:

• الحياة الأسرية حياة مقدسة يجب أن تكون تحت مظلة ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾.

• أن يعي الزوج حقوق الزوجة، ويتعامل معها من منطلق: «خيركم.. خيركم لأهله».

• أن تعي الزوجة حقوق زوجها، وتتعامل معه من منطلق: «إنما هو جنتك ونارك».

• أن يعي الزوجان أن الأبناء أمانة في أعناقهما ويحسنا تربيتهم من منطلق: «اتقوا الله.. واعدلوا بين أبنائكم».

• الإيمان بالحوار بين الزوجين والأبناء والجميع من باب: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾.

والحمد لله رب العالمين

ذ. محمد بوهو

سبيل الإصلاح

د. كمال الدين رحموني

من خصائص الإسلام أنه دين شامل كامل، يسعى إلى تحقيق العدل، والمحافظة على الحقوق. كما أنه دين يدعو إلى الفضائل والمحامد، وينهى عن الظلم والفساد. وحين يغيب هذا الفهم السليم للدين من حياة الناس، فيهجرون أحكامه، ويتنكرون لتعاليمه، ويدنسون قيمه، يشيع الفساد في مناحي الحياة، وحينذاك يظل الإسلام منهجا وحيدا للإصلاح، ومعالجة مظاهر الفساد في الأرض. وحين يعم الفساد في المجتمع يصبح النهي عن المنكر فريضة واجبة على كل إنسان قادر على الإنكار، وقد يكون الشخص ذاتيا، وقد يكون المنكر شخصا معنويا: مؤسسة أو هيئة أو نُخبا، وهو ما يصطلح عليه في الأدبيات الحديثة بالإصلاح والتغيير، ومن ثم كان إصلاح الفساد أمانة في أعناق المصلحين الذين يغارون على حرمات الدين.ومن الأمانة أيضا القيام بواجب الإصلاح، بالدعوة بالتي هي أحسن على بصيرة ووعي، قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ (يوسف: 108).

والإسلام يقرر حقيقة واضحة لا تقبل التأويل، ولا سوء التنزيل، وهي أن هجرَ الدين وإقصاءَ تعاليمه، أو التثاقلَ في تنزيله أو صَبْغَه بغير صبغته الربانية، مآله استشراء الفساد بعناوينه المختلفة: اقتصادية كانت أو تربوية أو سياسية أو ثقافية.... وحين ينظر المرء إلى واقع الأمة لا يسعه إلا أن يلحظ مظاهر الفساد في الأرض التي عمّت، فهل يتعايش الإسلام مع الواقع الفاسد، أم يستنهض الهمم لإصلاح ما فسد؟ إن النهوض بعملية الإصلاح هي الأمانة التي ناءت بحملها السماوات والأرض والجبال، فأوكلها الله ﷻ إلى الإنسان. وحين يريد الإنسان إصلاح الواقع الفاسد تتعدد السبل، لكن شتان بين من يسلك منهجا شاملا في الإصلاح، وبين من يختصر قضية الإصلاح في جانب دون آخر، بل شتان بين من يراهن على الأمة في الإصلاح، ومن يراهن على الدولة بمفهومها السياسي، وشتان بين من يلقي بثقله ويرمي بجميع أوراقه في جانب جزئي فيستغرقه، وبين من يتفاعل مع الإصلاح بقدَرٍ معلوم، وشتان بين من يستفرغ الطاقات كلّها في استيعاب منظومة الدولة المعقَّدة، بفعل حجم المفهوم السياسي لمفهوم الدولة في عصر تضاءل فيه مفهوم الدولة، بل تجاوز معاييرَ: الجغرافيا البشرية والطبيعية، والهوية التاريخية، وبين من يمتلك الوعي بقيمة الأمة باعتبارها الخيار الأقوم في الإصلاح والتغيير. ولذلك حين يغيب هذا الوعي، تختل معه أيضا مفاهيم الدولة والأمة، وتصبح الثوابت الشرعية والثقافية محلّ مساءلة، بل وانتقاصا أحيانا من مشاريع الإصلاح التي ترفع شعار الأمة مقابل الدولة، وتروج بهذا الفهم مفاهيم طارئة من قبيل الخصوصية، والنموذج، والاستثناء، كل ذلك تحت مسمى الإصلاح. من هنا تكمن المخاطرة في حشر جهود العاملين للدين في اتجاه واحد وقد "يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه"، ومن ثم فإن مطلب الإصلاح يقتضي الإلمام الواقعي بالمشكلات الجوهرية التي أدت إلى الفساد، ومحاولة تجاوزها من خلال منهج شامل يستحضرُ الأسباب، بقراءة ثاقبة للواقع الفاسد، في ظل المتغيرات المحلية والعالمية، ويربطُ الإصلاح بالمقاصد الضرورية، لا بمكاسب دنيوية مغرية سرعان ما يخبو بريقها، فتُفوّت فرصا هامة من حيث الزمن والنتائج. إن القارئ للكتاب العزيز يلحظ كيف قام بتشريح مظاهر الفساد بأبعادها العقدية والخلقية والاقتصادية، وكيف أرشد إلى المنهج الشامل لإصلاحها. وكان أفضل من حمل مشعل الإصلاح والتغيير هم الأنبياء الله عليهم السلام، الذين كانت دعوتهم نبراسا ينير سبيل الدعاة والمصلحين على مدى التعاقب البشري، وكان من مميزات هذه الدعوات السعي لإصلاح الفساد من منطلق الولاء لله ﷻ، وإصلاح العقيدة وحمايتها من الانحراف والضلال، والخضوع بالعبودية لله رب العالمين، ولا يتحقق هذا المقصد العظيم إلا من مدخل إصلاح العقول بتنقيتها من الخرافات والضلالات وهذا المعنى هو المستقى من قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلى يُوحَى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (الأنبياء: 25)، يقول ابن عاشور: "وليس ذكر هذه الجملة لمجرد تقرير ما قبلها من آي التوحيد وإن أفادت التقريرَ تبعا لفائدتها المقصودة. وفيها إظهار لعناية الله تعالى بإزالة الشرك من نفوس البشر، وقطع دابره إصلاحا لعقولهم، بأن يُزالَ منها أفظعُ خطل وأسخفُ رأي" (التحرير والتنوير49/17).

إن المتأمل في مسيرة الأنبياء عليهم السلام يدرك أنهم أول من قاد سفينة الإصلاح والتغيير، لكنهم ظلوا في دعواتهم مشدودين إلى البعد العقدي في عملهم الإصلاحي. والقرآن الكريم حين يقصّ قصصهم مع أقوامهم، يبيّن كيف كان هؤلاء الأنبياء عليهم السلام منشغلين بقضايا الفساد في مجتمعاتهم، فكانوا يستنكرون مظاهرها المختلفة، لكنهم لم يستفرغوا الجهد كلَّه بالنهي عن الفساد الجزئي الذي تُجلّيه مظاهر الاعتلال بحسب طبيعة كل وفساد، وإنما كانوا ينهون عن الفساد في الأرض، ويسعون إلى الإصلاح من خلال ربط هذا العمل بالولاء لله ﷻ، فتصحيح العقيدة كان الهمّ الأساس، ولقد أكد القرآن هذه الحقيقة، في قوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (النحل: 36)، وكان شعار دعواتهم قول الله تعالى: ﴿إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون﴾(1) وردت هذه الآية ست مرات في سورة الشعراء في الآيات107-125-143-162-178 في حق نوح و هود و صالح و لوط، و شعيب عليهم السلام، و في سورة الدخان في الآية 18 في حق موسى عليه السلام. والمعنى أنّ في دعوة الأنبياء وحدة القصد والهدف، وتعدُّد الوسائل بتعدّد مظاهر الفساد، لا من أجل إصلاح ظرفي يستهدف استئصال الفساد المستشري الآني فقط، ولكن في إطار ربط الإصلاح الجزئي بالتغيير الشامل في المجالات المختلفة: فحين يغدو الفساد كفرا وشركا يصبح الواجب تصحيح هذا الواقع الكفري، فتكون الدعوة ملحّة لتطهير النفوس من لوثة الشرك بتجلياته المختلفة، قبل الانشغال بمظاهره الظاهرة، ولذلك لم تكن الأصنام بأشكالها البارزة، وأعدادها الكثيفة هي الشغل الشاغل لإبراهيم عليه السلام، وإنما كان الهمُّ تحطيمها في القلوب، حَطّم إبراهيم عليه السلام أصناما ظلوا لها عاكفين،لإيقاظ القوم من السَّكْرة والغفلة، دعوةً لهم بالحجة والبرهان العقلي إلى إفراد الخالق بالعبادة، قال تعالى: ﴿قال أتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضرُّكم أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ (الأنبياء: 66-67).

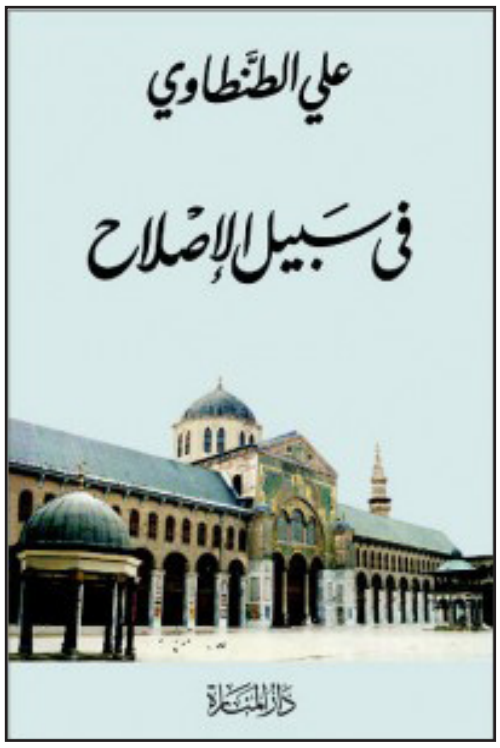

وهذا نبي الله صالح عليه السلام توسّل في الإصلاح بلفت النظر إلى شيوع الترف والبذخ والتكبر، فنهض بالقول: ﴿أتتركون في ما هاهنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون﴾ (الشعراء: 146-150). وحين أراد هود عليه السلام أن يعالج ظاهرة الاستبداد السياسي والطغيان وما يتبعهما من ظلم، كان المسلك عقديا، فقال منبِّهاً قومَه إلى طبيعة الفساد: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون﴾ (الشعراء: 129-131).

وفي تجربة نبي الله لوط عليه السلام وقد أُرسل إلى قوم شاعت فيهم الفاحشة المصادمة للفطرة، فكان المدخل للإصلاح هو الأمر بالكفّ، قال تعالى: ﴿إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون﴾ (الشعراء: 161-166). وقوم آخرون، كان لهم قصب السبق في التأسيس للفساد الاقتصادي، فكانت جريرتهم التطفيف في الميزان، فجاءهم شعيب عليه السلام ينهاهم عن هذا الفساد ويذكّرهم بالله ولزوم تقواه، قال تعالى: ﴿إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (الشعراء: 177-183).

وكذلك كان شأن النبي الكريم ﷺ في بداية دعوته، في مرحلة كان فيها المسلمون مستضعفين في الأرض تعوزهم سبل التمكين يخافون أن يتخطّفهم الناس قبل أن يُؤويهم الله بنصره ويرزقهم من الطيبات، لم ينشغل عليه السلام بمظاهر الفساد العقدي وتجلياتها الصنمية بالرغم من كثرتها في الواقع، بقدر ما كان يريد تنقية النفوس من شوائب الضلال

العقدي، من صنمية تشكلت في النفوس، ولم ينشغل عليه السلام بالمساومات التي ظلت أسلوبا متكررا مسايرا في كل عصر للإلهاء عن الأهداف الكبرى، في زمن المقايضة الماكرة "نعبد إلهك عاما وتعبد آلهتنا عاما"، ولم تُثْنه المغريات والمكاسب الآنية من مال وجاه ومَنصب وسلطة، بل ظلّ عليه السلام متطلعا إلى التغيير المتدرج الشامل، لأنه عليه السلام -وهو المسدَّد بالوحي- يعلم أن قضية الإسلام هي أكبر من أن يحسمها منصب مغر أو مغنم مُكثر، أو مكسب مُبهر، لأنها قضيةُ ولاء في كل مناحي الحياة لله ﷻ ولشريعته، ودون تحقيق هذا الهدف الكبير معاناة ومصاعب وصبر وعمل.

إن مطلب الإصلاح يقتضي الإلمام الواقعي بالمشكلات الجوهرية التي أدت إلى الفساد، ومحاولة تجاوزها من خلال منهج شامل يستحضرُ الأسباب، بقراءة ثاقبة للواقع الفاسد، في ظل المتغيرات المحلية والعالمية، ويربط الإصلاح بالمقاصد الضرورية، لا بمكاسب دنيوية مغرية سرعان ما يخبو بريقها، فتفوّت فرصا هامة من حيث الزمن والنتائج.

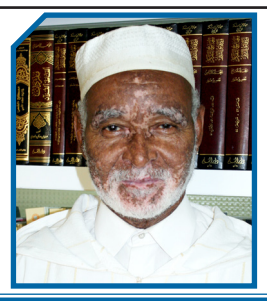

اللغة العربية لغة القرآن الكريم: مباني و معاني(27)

1 – شكل الكتابة: "المستوى الإملائي" أمثلة ونماذج

د . الحسين كنوان

بدأنا في الحلقة الماضية الحديث عن كيفية كتابة ثلاثة أنواع من الكلمات: أولاها البسملة، وثانيها البنوة، وثالثها عبارة عن مقابلة بين التذكير والتأنيث في عدد من الكلمات التي لا يفرق بينها في الحالتين إلا بإضافة حرف الهاء في آخرها. وقد بدأنا بشكل كتابة البسملة التي أثبتنا بخصوصها نصا لابن جني يتضمن عبارات تنص على أحوال كتابة همزة بهذا الشكل أو ذاك لأداء وظيفة معينة، وأشرنا بعد هذا إلى عدد الألفات المتنوعة الوظائف التي من بينها همزة الوصل، وأشرنا إلى أن ابن جني اقتصر على همزتي الوصل والقطع، وحدد وظيفة كل منهما الدلالية بقوله: "فهمزة القطع هي التي ينقطع –باللفظ بها– ما قبلها عما بعدها"، "وهمزة الوصل هي التي تثبت في الابتداء وتحذف في الوصل؛ لأنها إنما جيء بها توصلا إلى النطق بالساكن لمّا لم يكن الابتداء به، فإذا اتصل ما بعدها بما قبلها حذفت للاستغناء عنها".

هكذا نلاحظ أن مضمون العبارة أعلاه التي تتحدث عن حالتي كتاب همزة الوصل لا تنطبق على كتابة البسملة "بسم الله– باسم الله" ففي بداية هذا الاسم حذفت الهمزة، في حين أنها كتبت في غير ذلك؛ وهذا عكس القاعدة العامة التي تقول بكتابتها في البداية وحذفها في غير ذلك، فكيف يمكن تعليل هذه الحالة، وهل لها من وظيفة إضافية؟

يمكن تعليل هذه المسألة بعلتين هما:

أ – ما أورده ابن قتيبة حيث قال: "تكتب "بسم الله" –إذا افتتحت بها كتابا، أو ابتدأت بها كلاما– بغير ألف؛ لأنها كثرت في هذه الحال على الألسنة في كل كتاب يكتب، وعند الفزع والجزع، وعند الخير يَرِدُ، والطعام [237] يؤكل، فحذفت الألف استخفافا. فإذا توسطت كَلاماً أُثبتت فيه الألف" (أدب الكاتب، 184).

هذا التعليل الذي قدمه ابن قتيبة لحالتي كتابة البسملة لا ينطبق في ظاهره على الوصف الذي من أجله يؤتى بهمزة الوصل كما ذكره ابن جني في النص السابق، لكن الواقع عكس الظاهر عندما نقارن بين تعليلي كتابة همزة الوصل بصفة عام الذي هو "التوصل إلى النطق بالساكن"، وبسبب حذفها في بداية البسملة الذي هو الاستخفاف، فالأمر في الحالتين يتعلق بالجانب الجمالي لقواعد اللغة العربية، فكل من عدم بداية النطق بالساكن، أو حذف حرف من أحرف الكلمة استخفافا كما هو الحال في "بسم الله" يدل على ذلك. فهذه المسألة؛ أي الخفة في النطق يمكن التمثيل لها بعدد من القواعد في اللغة العربية نذكر منها أمثلة فقط مما أورده الثعالبي تحت عنوان: "فصل مجمل في الحذف والاختصار" يقول فيه: ".. ومن ذلك حذف حرف النداء كقولهم: زيد تعال، وعمرو اذهب. أي يا زيد ويا عمرو، وفي القرآن الكريم ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾؛ أي يا يوسف..." (فقه اللغة وسر العربية 340).

وقد أثبتنا في النص الذي أوردناه لابن جني في الحلقة الماضية (26) أنواع الكلمات التي تبتدئ بهمزة الوصل وعدد كل نوع منها أو أغلبه، وميزنا كل نوع بالرقم الذي يناسبه فرقم (1) يمثل كل الحالات التي تحذف فيها همزة الوصل قياسا على "بسم الله" من أول الكلام في حين أن رقم (2) يشير إلى كتابتها قياسا على "باسم الله" في سياق الكلام.

ب – رأينا أن الثعالبي خصص فصلا للألفات بصفة عامة وسمى وظيفة كل ألف بالمضاف إليه، وبناء على هذا نرى أن الاسم الذي نحن بصدد مناقشة علة حذف همزة الوصل منه إذا وقع في بداية الكلام "بسم الله" نرى أن هذا الاسم مضاف إلى اسم له خصوصيته "الله"، ولذا يكتسب منه ميزة خاصة كما هو معروف في العلاقة الرابطة بين المضاف والمضاف إليه. ولعل هذا ما يميز حالة الاسم أثناء الابتداء به عن بقية الأسماء، وهو في الواقع كذلك!

ثانيا: أي النوع الثاني من الكلمتين اللتين تكتب فيهما همزة الوصل تارة وتحذف أخرى لتفيد بكل شكل من الكتابة معنى خاصا هي "البنوة"؛ ولذا نعرض أمثلة مفصلة لهذين النوعين من الكتابة محاولين ضبط دلالته التي تميزه وفق القاعدة التي تضبطه فيما يلي:

المثال	كلمة البُنُوَّة في سياقها الخاص	شكل كتابتها والقاعدة التي تميزه
1	أ- هذا محمد بنِ عبد الله ب- رأيت محمداً بن عبد الله ج- مررت بمحمد بن عبد الله	بن متصل بالاسم وهو صفة "يكتب بدون ألف"
2	أ- هذا زيدٌ ابنك ب- هذا زيدٌ ابن عمك ج- هذا زيدٌ ابن أخيك	بن مضاف إلى كاف الخطاب "يكتب بالألف"
3	أ- أظن محمدا ابن عبد الله ب- كان زيد ابن عمرو ج- قال تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾	بن خبر (في الأصل قبل دخول النواسخ على الجملة) "يكتب بالألف"
4	أ- قالِ عبد الله وزيدٌ ابنا محمد كذا وكذا ب- أظنُّ عبد الله وزيداً ابني محمد	بن مثنى "يكتب بالألف"
5	جاءني ابن أخي عبد الله	بن لم يذكر اسم قبله "يكتب بالألف"
6	أ- هذا محمد ابن أخي عبد الله	بن منسوب إلى غير أبيه "يكتب بالألف"
7	أ- زيد بن القاضي ومحمد بن الأمير	بن منسوب إلى لقب يغلب على أبيه "يكتب بدون ألف"
8	أ- هذه هند ابنة فلان ب- هذه هند بنت فلان قال تعالى: ﴿ومريم ابنة عمران﴾ (التحريم: 12)	الأمر يتعلق بالتاء التي تكتب مربوطة عندما تكتب ألف ابنة، ومبسوطة عند حذفها (بنت).

هذه ثمانية أحوال لكتابة كلمة "البنوة": [بن، ابن] لكل حالة منها تعليلها الخاص، وهي في مجملها من حيث شكل كتابتها نوعان: نوع يكتب بدون ألف الوصل، وهما نوعان فقط، هما رقم(1) ورقم(7). ونوع تثبت فيه ألف الوصل، وهو الستة أنواع الباقية هي أرقام (2) (3) (4) (5) (6) (8). وقد سجل ابن قتيبة تعليلا خاصا بكل مثال مما أورده في كتاب تقويم اليد، باب ألف الوصل في الأسماء في كتابه "أدب الكاتب". ومنه جردنا الأمثلة المرقمة أعلاه ولذا سنحاول تحديد وظيفة كل مثال بشكل نوع كتابته وعلتها، مقرونة بعبارة ابن قتيبة كما هي في النص المذكور، ثم نناقش في النهاية الفرق بين وظيفتي كتابة ألف الوصل في الكلمة أو حذفها باعتبارها قيمة خلافية، وذلك في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

من الكتب الحديثة في قواعد الإملاء والكتابة العربية

- أساسيات في تعلم مبادئ الإملاء والترقيم، سليم سلامة الروسان، ط. ثانية 1989م.
- أصول الإملاء، د. عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، ط. الثالثة، 1994م.
- الإملاء العربي الميسر الشامل المجدول، فيصل حسين طحيمر العلي، مؤسسة علوم القرآن ودار ابن كثير، عجمان وبيروت 1990م.
- الإملاء المبسط، عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، حلب، ط. ثانية، 1425هـ/2004م.
- الإملاء الميسّر، زهدي أبو خليل، دار أسامة، عمان، ط. أولى، 1419هـ/1998م.
- الإملاء والخطّ في الكتابة العربية، حلمي محمد عبد الهادي، ط. أولى، 1985م.
- تاريخ الكتابة العربية وتطورها وأصول الإملاء العربي، محمود حاج حسين، وزارة الثقافة، دمشق 2004م.
- الترقيم، عبد الرؤوف المصري، مكتبة الاستقلال، عمان، 1921م.
- الترقيم وعلاماته في اللغة العربية، أحمد زكي باشا، تقديم وعناية عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط. الثالثة، 1416هـ/ 1995م.
- تسهيل الإملاء، فهد أحمد الجباوي، دار القلم، دمشق، ط. الثانية، 1422هـ/ 2001م.
- تطور الكتابة العربية، السعيد الشرباصي، مصر 1946م.
- تيسير الكتابة العربية، مجمع فؤاد الأول 1946م. ومجمع اللغة العربية بالقاهرة 1961م.
- تيسير كتابة الهمزة، د. عبد العزيز نبوي ود. أحمد طاهر، القاهرة 1989م.
- الخلاصة في قواعد الإملاء وعلامات الترقيم، نبيل مسعد السيد غزي، دار غريب، القاهرة، 2000م.
- دراسة في قواعد الإملاء، د.عبد الجواد الطيب، دار الأوزاعي، ط. ثانية، بيروت 1406هـ/1986م.
- قواعد الكتابة والترقيم والخط، سليم سلامة الروسان، عمان، ط. أولى، 1989م.
- الكامل في الإملاء، كمال أبو مصلح، المكتبة الحديثة، بيروت، ط. أولى، 1973م.
- كتاب الإملاء، الشيخ حسين والي، القاهرة 1913م، ودار العلم، بيروت، ط. أولى 1985م.
- الكتابة وقواعد الإملاء، عبد الله علي مصطفى، دار القلم، ط. أولى، دبي 1990م.
- كيف تكتب الهمزة؟ د. سامي الدهان، دار الشروق العربي، بيروت وحلب، بلا تاريخ.
- لآلئ الإملاء، محمد مامو، اليمامة للنشر والتوزيع، دمشق وبيروت، ط. الرابعة، 1426هـ/ 2005م.
- اللغة العربية ومشاكل الكتابة، البشير بن سلامة، الدار التونسية 1971م.
- المرجع في قواعد الإملاء، راجي الأسمر، جروس برس، ط. أولى، طرابس، لبنان.
- المرشد في الإملاء، محمود شاكر سعيد، ط. ثالثة، دار الشروق، عمان 1998م.
- المرشد في كتابة الهمزات، جلال صالح، دار الزايدي، الطائف، ط. أولى، 1979م.
- المستشار في الإملاء والخّط العربي، يوسف بدوي ويوسف الحاج أحمد وأحمد محمد السيد، دار ابن كثير، دمشق، ط. أولى 1994م.
- نخبة الإملاء، عبد الفتاح خليفة، مصر 1345هـ.
- الهمزة في الإملاء العربي: المشكلة والحلّ، د. أحمد الخراط.
- الهمزة في اللغة العربية، دراسة لغوية، مصطفى التوني، القاهرة 1990م.
- الهمزة مشكلاتها وعلاجها، د. أحمد شوقي النجار، الرياض 1984م.
- الواضح في الإملاء العربي، محمد زرقان الفرخ، دار هدى وهبة، ط. الأولى 1413هـ/ 1993م.

من أوراق شاهدة

إني لأجد رياح النهضة لولا أن تفندون 1/2

جاءتني تحمل الكثير من الحرقة وحزمة مشاريع تريد أن تنزلها من خلال موقع تحمله كل ما يخدم الإسلام، وقالت إن موقعها تريده محطة للمتشككين والحائرين والأوابين، وحدثتني عن علماء ألحفت في دعوتهم لإعانتها على توجيه وإغناء الموقع لكنها لم تصادف إلا تأجيلا ثم صمتا كصمت القبور.

لم تستطع تفسير ذلك البرود الذي طبع رد فعلهم إزاء مشروع أرادته شموليا وسعت إلى المختصين لتجيب عن أسئلة حارقة غدت تؤثث المشهد الديني الجديد..

قالت إنها تريد علماء ربانيين يخوضون بعلم رصين وخلق رفيع في الرد على المعارضين لإيقاف نزيف التنابز بصفات التكفير من جهة، وصفة العلمانية والعمالة والاستلاب من جهة أخرى.

صدقها وقلة حيلتها وشعورها بالغربة وضعني على الصفيح الساخن لسؤال النهضة وأنا أرى عزائم عزلاء تتخبط في بحر لجي من اللامبالاة أو الانخراط في الورش الخطأ، وأصحابها أشبه بالعاملَيْن اللذين صعدا سلالم عمارة يريدان العمل بها، وكان طابق السطوح الذي يريدانه بعيدا جدا في ناطحة سحاب، والمصعد معطل، فظلا يرتقيان الدرج، وفجأة توقف أحد العاملين وقال لصديقه: عندي خبران، جيد وسيء، أما الجيد فقد وصلنا أخيرا إلى طابق السطح، وأما السيء فهو أن هذه العمارة ليست هي المقصودة..

وبصيغة أخرى، ترانا وضعنا أقدامنا على سكة الانطلاق الحضاري أم تراها كما تقول العرب جعجعة أبدية بلا طحين ولا حتى قشور النخالة؟.

إن ما نراه اللحظة من هبات دينية على صفحات الفايسبوك والواتساب، والتي تحمل مئات الفيديوهات والقصص الدينية المأثورة بل وزحمة تفاسير وشروح دينية، وتقدم في طياتها كشوفا مذهلة في علوم الإعجاز القرآني ووصفات خارقة للحاق بركب المؤمنين لتجعل المرء يستخلص أن صفارة انطلاق القطار توشك أن ترتفع مدوية للعالمين، لكن التمحيص والتأمل في هذا الزخم يجعل المرء يتساءل أمام ضراوة التكالب العدواني على العالم الإسلامي إن لم يكن الأمر يتعلق بمسكنات يتناولها رواد هذه المواقع فتضعهم في صورة إقلاع وهمي وقناعة تامة بأن الإسلام قادم وهو الحل بكبسة على الزر، ويكفي المسلم أن يتخذ له ركنا مكينا من عزلة عبادات، يزينها بمعاملات رفيعة لينهار جدار الباطل وتأتي النهضة راغمة وكساحر القمقم هاتفة "شبيك لبيك النهضة بين إيديك"..

وقد ذكرني هذا الوضع المشبوه بالقصة العجيبة التي أوردها المفكر الإيراني "تقي المدرسي" في كتابه "المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه". يقول المدرسي إن فضل العالم على العابد كبير ويسوق قصة العابد الذي قضى زمنا في سفح يعبد الله، فقال ملك كريم لله سبحانه: إلهي عبدك هذا يعبدك ليل نهار، قال الله سبحانه: انزل عنده، اعبدني معه، فنزل فرحب به العابد، وأثناء الحديث معه قال العابد للملك إن هناك شيئا يحيره، وهو أن الله لم يتخذ حمارا له يرعى في المروج الفسيحة المحيطة بالعابد، وكان لمحدودية عقله يظن أن لله حمارا وأنه عليه أن ينزله لتلك المراعي الواسعة، فصعد الملك إلى الله سبحانه وقال له: الآن فهمت لماذا لم تعطه على قدر عبادته، وإنما على قدر عقله.

القصة إياها لم أعتمدها على مستوى المصدر لخشية أن يشوبها دخن ما، وإنما أدرجتها لحمولتها المجازية الموافقة للأحاديث النبوية الصحيحة حول أسبقية العالم على العابد فعن أبي أمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» ثم قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير». وقد عرضت القصة لما لها من معاني توافق الخيط الذي نحاول القبض عليه، خيط شمولية الإسلام التي تعني ببساطة أن البناء لا يعلو إلا بركائزه الأساسية، تلك التي تتطلب تدافعا وجهدا وبلاء وفق تخطيط وتدبير تشحن بطاريته عبادات ربانية مخلصة وصادقة..

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

ولا بديل عن مسار السنن الكونية في مدافعة الحق للباطل، تلك السنن التي سار وفقها الأنبياء والرسل فحصدوا النصر والتمكين لدين التوحيد ولو بعد حين. ويسوق د. محمد الصلابي في كتابه الماتع "فقه النصر والتمكين" محطات مسار الألم والأمل مع أنبياء الله تعالى فيقول: "إن انتصار منهج الله والتمكين له وتعرف الناس عليه يحتاج إلى رجال يرفعون أصواتهم حتى يسمع الآخرون"، ويستشهد من بين قصص أخرى بقصة غلام الأخدود العجيبة، ويدرج فيها ملحمة الصبر بين غلام وراهب ومستشار ملك، وكلاهم سيبتلى بلاء شديدا ليرجعوا عن دينهم، لكنهم أبوا وسيقدمون حياتهم فداء لدين التوحيد في مشاهد قوية جدا ومزلزلة. فكان أن أسلم كل الناس.

وبالنتيجة فأمور خلافية تمور بها الساحة الآن كالنقاب وغيره تحتاج قبل الوصول إلى عتبتها تخصيب الأراضي الجدباء لوجدان وعقل المسلمين؛ لأن من ذاق عرف، ومن عرف غرف كما يقول العارفون، ومع ذلك فإن رياح النهضة المباركة، ورغم كل الأنواء الأصيلة والدخيلة، لتواصل الهبوب وإن فندوا.

شعراء الاستثناء...

ونكتب الشّعر، ونحبّ الشعراء وتنتشي أنفسنا به وبهم، ونحن نقرأ القصائد القديمة ونتوقّف عند حياة أصحابها ومنشئيها، تلبسنا الأطلال ونشوة الخلود مع المعلقات، والمجون والإغراق في الجسد مع عمر بن أبي ربيعة والأحوص، والحكمة والزهد مع زهير بن أبي سلمى والمتنبي وأبي العتاهية، والتشاؤم والتذمر مع أبي ذؤيب الهذلي وأبي العلاء المعري، والبكاء على المدن مع ابن هانئ الأندلسي وابن نباتة، نرحل بعيدا هناك حيث القصائد ممتدة في أعراق البشر، لنسأل سؤالا وجيها. لماذا يكتب الشعراء؟ وهل الشعر غواية يتفنّن في تحسينها من رشّوا بماء عبقر؟.

تطل من بعيد أم جندب وخنساء صخر، والفارعة ورابعة العدوية وليلى الأخيلية، وولّادة بنت المستكفي وعائشة الباعونية وعليّة الجعّار وعاتكة الخزرجي وكثيرات هنّ ممن عشقن سحر الكلام ليؤكّدن أنّ الشعر أنفاس إنسانية يعتّقها الكلام، ويحرسها وجد الداخل المليء بالإحساس، حتى إذا خان هذا الإحساس صاحبه خرج الشعر إلى عالم الناس باهتا لا يكاد يُقرأ أو يُحتوى أو يَعيش.

أشعارنا أنفاس، فإذا خان النّفس، خان الشعر كل تسابيح الكلام المغلّفة بالنّور ولبس ثيابا قشيبا تباهى به من جعل من الكلمات المبتذلة والنابية والمرذولة سيرته في حكايات الإبداع.

فهل يتفرّد الشاعر لمجرد الكتابة بأوزان وصور وأفكار عُشْبيّة، أم أنّ معطى الفرادة والإبداع يرتبط بخَيط رفيع يؤسّس لحركية إنسانية تضمن توهّجها حين تُحَرك دلالات إلاّ في خطاب الاستثناء، وتنفتح على رؤيا الإنسان والكون والحياة الموصولة بقوله ﷻ: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

مساحة "إلاّ" الاستثناء حكاية وحكاية ومساحة "إلاّ" الاستثناء أيضا غواية وهداية، وبين الغواية والهداية حدّ اسمه الإيمان، ميزان الله العادل في تصنيف شعر الغواية وشعر الهداية، هذا الأخير الذي إذا وقر الإيمان في قلب صاحبه، تحرّك القلم ليكتب النّافع والرّاقي والسامي والجميل، يباركه في ذلك ملاك الشعر الذي أعتقد بوجوده مؤازرا للشاعر المؤمن تماما كما آزر روح القدس حسان بن ثابت وهو يهجو كفار قريش.

ليست "إلاّ" أداة عابرة في سورة الشعراء، إنها أداة التأكيد على وجود شاعرين في عالم الشعر يكون كلاهما قائدا للعامّة بما يقول مع فارق في حمولات الطرفين.

إنّ موطن اتّزان الشاعر في اعتقادي مشفوع بالإيمان، فإذا سقطت الصفة سقط الشعر وأصبح مربكا يؤسس للغواية. فيحمل الشاعر على القدح والقذف والابتذال وهتك الأعراض.

طريق الشعر وعر لا يسلكه إلاّ العارفون، فإذا خاض فيه الكل فقد بريقه، وتكالب عليه الواهمون لا يشدّهم للقول هدف أو بعد أو مقصد، وإنّما متاه الطريق المورق بوهم الهدف ووهم المقصد ووهم البعد المغلف بتضخم الأنا أين يسكن شيطان الشعر، ويعثو فيه فسادا.

الخيال جميل، وتوسيع التخييل أجمل، ولكن حين يكون التخييل ابتذالا، تنتهي نشوة الشعر ونشوة قرضه، ويصبح عبقر هنا أسوء قرين لأنه يصدر لنا شاعرا لا يضيف للبشرية ما يوسع مدارك الإحساس بقيمة الحياة، وقيمة الوجود وقيمة الإنسان، وإنما يفتح باب الشك فيما يفكّر وفيما يعتقد وفيما يأمل، ويصبح محاصرا بوساوس تزهّد الناس فيه، أو تدفعهم لأن يغرفوا من أودية الهوى والعبث ما يجعل من الكلمة خطايا لسان يتحرك فيها الفراغ وينتشي فيها الكذب ويبحر فيها الغواة حيث لا حد فيها لشاطئ، ولا قيد فيها لمكان، ولا وجود فيها لإنسان تزهر بنفحات وجوده الأكوان.

فهل نحتاج في ظل هذا الهرج الشعري الذي يلفّ عالم الكتابة اليوم إلى تفعيل فكرة شعراء الاستثناء؟

دة. ليلى لعوير

وَمضة

احتجاج

توجه الأب نحو مكتب مدير مؤسسة تعليمية يحتج:

- الأستاذة فلانة طردت ابنتي نهائيا من حضور مادتها..!

سأله المدير مستغربا:

- لماذا؟!

رد الأب بعصبية:

- بعد نهاية حصتها، قالت لابنتي: "أرجوك وأتوسل إليك ألا تحضري حصصي نهائيا، وسأمنحك مقابل ذلك النقطة الأولى!"

استغرب المدير أكثر، فهو يعرف منذ سنوات كفاءة تلك الأستاذة وعلاقتها الطيبة بتلامذتها...

سأله ثانية:

- ولماذا طلبتْ منها ذلك؟!

- لأن الأستاذة حامل، في "حالة وحم"، فكرهتْ ابنتي...

ضحك المدير.. ظهرت حبْكة الكذْبة، فالأستاذة عازبة...

حضرت التلميذة.. سألها المدير عن المشكل... غمغمت:

- دعتني الأستاذة فلانة بعد خروج التلاميذ، وقالت لي إن مستواي الدراسي في تقهقر، وعلي أن أستغل ذكائي وأنتبه جيدا وأدع الشغب داخل القسم لأنجح في الامتحان..

- وقلتِ لأبيك إنها طردتك بسبب وحمها وكرهها لك؟!

ردت باكية:

- لا لا.. قلت ذلك لزملائي حين خرجنا.. وشاع الخبر إلى أن بلغ أسرتي...!

صمتت لحظة وتابعت:

- قلت ذلك لزملائي، لأبدو قوية غالبة!

ذة. نبيلة عزوزي

د. عبد المجيد بنمسعود

قبسات فكرية

- الحياء ذلك المستهدف

أمة الإسلام أمة متميزة اصطفاها الله سبحانه وتعالى لتكون شاهدة على الناس، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: 143)، ومناط تميزها هو كونها حاملة لرسالة الدين القيم الذي يطابق الفطرة ويخاطب الفطرة، ويستجيب لأعمق أشواقها، ويستثير فيها مجمل طاقاتها ومكنوناتها.

ومن أخص خصائص ذلك التميز خلق الحياء، ولعل هذا المعنى مما يتضمنه قول رسول الله ﷺ بأن خلق الإسلام الحياء. وإنه لأمر عجيب حقا، بل ومعجز حقا، ومن ثم فهو مثير لمكامن التساؤل والتفكير، لأن اصطفاء خلق بعينه من بين حشد هائل من الأخلاق، ليكون عنوان دين، وسمة تميزه عما سواه، دليل على كونه يمثل جوهرا من جواهر ذلك الدين، ومحورا يرتبط به ويدور حوله كثير مما سواه من القيم والأخلاق.

ولعل مما يكشف وجها بارزا من وجوه هذه الحقيقة، حديث رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت» (صحيح البخاري وابن حبان)، وصيغة الحديث وإن كان ظاهرها يكتسي معنى الأمر، فإنها ليست من الأمر في شيء، فالحديث من خلال صيغته المتميزة يعبر أبلغ تعبير عن سنة ثابتة من سنن النفس التي يقترن فيها المشروط بالشرط، أو النتائج بالمقدمات،، أو يدور فيها المعلول مع علته وجودا وعدما كما يقول الأصوليون.

وإن عملية استقرائية لأحوال الأمة الإسلامية عبر حقبها الحديثة والمعاصرة، أو منذ اللحظة التي بدأت تفقد فيها رواءها وتنسلخ عن جلدها، لتكشف بكل جلاء، عن أن قابلية الأمة للتخلي عن خصوصيتها والتفريط في هويتها، تتناسب طردا من حيث قوتها، مع مقدار ضمور خلق الحياء في نفوس الناس، على اختلاف مستويات ذلك الحياء ودرجاته وتجلياته. وأسطع تجل للحياء هو ذلك الموصول بصفة الوجل من الله جل جلاله، النابع من علم صحيح بصفاته العلا وأسمائه الحسنى، وبحقوقه على العباد،، ويعكس ملمحا من ملامح ذلك التجلي، جواب الإمام الحسن البصري رحمه الله لمن سأله عن سر زهده بقوله: "علمت أن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني على معصية"، أما أبسط تجل للحياء، فهو ذلك الذي يرتبط ببنية التقاليد والأعراف التي ارتضاها المجتمع، والتي يتشربها الأفراد من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، عبر مؤسسة الأسرة والعلاقات الاجتماعية الأخرى التي تنتظمهم فيما يصطلح عليه بالمناخ الثقافي العام، ومن ثم فإن هذا المستوى يكتسي طابعا سلوكيا مرتبطا بالمحتوى اللاشعوري لشخصيات الأفراد، وهو إن كان على جانب كبير من الأهمية، لكونه يحدد ملامح شخصية المجتمع، فإنه أقل رقيا وفعالية ونضجا من المستوى الذي يقترن فيه السلوك بالوعي العقدي المتميز بالقصد والغائية، وهو ما لا يتحقق إلا بمستوى محترم من العلم والتثقيف.

وأول شيء أود الخلوص إليه هنا، هو أن الحياء كقيمة عليا تمثل جوهر الأمة المسلمة مستهدف عبر مستوييه معا. وإذا كان الأول قد استهدف من خلال عملية التجهيل وفصل الأمة عن دينها وميراثها العلمي، ومحاولة استئصال العلم والتدين من وجدانها الثقافي كقيمة عليا، وإحلال محلها قيما رخيصة تافهة تتمحور في مجملها حول التهالك على الدنيا دون ضابط أو معيار معنوي، فإن المستوى الثاني قد استهدف عبر مكر طويل لعب فيه التغريب السلوكي الزاحف على النمط السلوكي الموروث، دورا خطيرا، واستثمر فيه مركب النقص، وآلية الانبهار ببهارج الغالب المتمدن إلى حد بعيد.

وإذا كانت المرحلة الأولى لمسلسل التغريب قد اعتمد فيها على آلية المحاكاة والتقليد المتولدة عن الانبهار؛ فإن المرحلة التي تلتها قد اعتمدت مداخل منهجية خطط لها بإحكام، وحددت أهدافها بدقة، وسخرت فيها مكتسبات العلوم السلوكية، من أجل معرفة أعمق بدوافع السلوك، ومواطن القوة والضعف في الشخصية المسلمة. ومن أبرز مميزات هذه المرحلة النوعية، أنها قد تولت مهمة قلب المفاهيم المركزية في العقول، من قبيل مفهوم التدين، ومفهوم الحرية، ومفهوم الأسرة، ومفهوم التربية، وعلاقة الرجل بالمرأة، إلى غير ذلك مما يسفر النجاح فيه عن إنتاج نسل جديد منسلخ تماما عن أصوله، ويدين بالولاء للغرب إلى حد بعيد ومدهش، وكان من أسباب ذلك النجاح، أن إنجاز المهمة قد وكل في قسط هام منه إلى نخبة مغربة صنعت على عين المستعمر، وأمدت بكل ما يلزم من شروط وإمكانات وأدوات.

وإذا نحن شبهنا الحياء ككيان معنوي هائل ورفيع، بحصن شامخ منيف، فإننا نشبه العوامل التي تسببت في تآكل جوانبه وأطرافه، بل كثير من أعمدته وركائزه، والتي تصطدم به ليل نهار، فتنال منه في كل يوم، بمقدار قد يكون من الضآلة بحيث لا تلحظه العين المجردة، ولكن تراكم المقادير مع مرور الزمن يسفر لا محالة عن شروخ هائلة تهدد الصرح بالسقوط. وقد لا يختلف اثنان بأن أكبر سيل، بل طوفان يهاجم صرح الحياء في العصر المعاصر، هو الإعلام بشكل عام، والمرئي منه بشكل خاص، فاللقطات والمشاهد المصورة المعدة والمحبوكة بمكر وإتقان، تمارس سلطانا عارما، وتخلف أثرها البليغ في المستهدفين، والذي تتفاوت حدته بحسب مستويات هؤلاء من حيث البناء العقدي والمناعة الثقافية. ويقع في قلب تلك المشاهد ما له علاقة بالجنس؛ لأنه أبلغ مدخل يحقق به المستهدفون للحياء أهدافهم.

إن مقارنة مدققة بين أجيال ما قبل التلفزيون ومتعلقاته، وأجيال ما بعده، تكشف لنا عن فرق هائل وهوة سحيقة بين هؤلاء وأولئك. وهذه الحقيقة خليقة بأن تدفع القوى المستأمنة على آدمية الإنسان وكرامته، إلى بناء استراتيجية محكمة لمواجهة هذا المد العاتي الذي يهدف إلى مسخ الإنسان،، مسخرة ما هو متاح من إمكانيات وطاقات، لإيجاد بيئة نقية طاهرة تساعد على حماية الفئات الطاهرة من الانقراض، وعلى تنمية أخلاق الفطرة وشعب الإيمان، ومن أبرزها الحياء الذي يشكل لقاحا فعالا، وجذوة متقدة للخير، وحائلا دون السقوط إلى أسفل سافلين.

تتمة الافتتاحية

- العمل والإتقان وتفويض النتائج لله تعالى مدبر الأكوان:

فيقين القدرة والنصرة لا يستلزم التواكل وتفويض الأمور لله تعالى دون القيام بما أوكل للعباد القيام به من العمل بشروطه من العلم والإحسان والحكمة، ومن اتخاذ كل الأسباب واستفراغ الوسع في القيام بما أوجب الله ﷻ على الناس أفرادا وجماعات القيام به، فالأمة مكلفة وجوبا كفائيا وعينيا بإقامة الواجبات وتحمل المسؤوليات وأداء الأمانات والحقوق، وعلى رأسها حقوق الله تعالى وحقوق العباد.

فأجَلُّ حقوق الله تعالى على العباد ما يلي:

- أن يعبدوه وفق ما شرع.
- أن يقيموا كل ما يخدم هذا المقصد تربية وتعليما وتبليغا، عدة وعتادا.

وأما حقوق العباد على العباد كما فرضها الله تعالى فأعلاها:

- **العدل ورفع الظلم** والوفاء بالحقوق المادية والمعنوية والحقوق الدنيوية والأخروية.
- **الإحسان إلى ذوي الحاجات** وتمكينهم مما فرض لهم في أموال الأغنياء من واجبات

- **النهوض بكل ما يحقق الكرامة** لعموم الأمة والناس جميعا تربية وتعليما وصحة وغذاء ومأوى، ونصرة وأخوة، تكافلا وتضامنا وتراحما...

فيوم تقوم الأمة بواجباتها على أحسن الوجوه وتؤدي ما فرض عليها من حقوق لله تعالى ولعباده أداء تاما، كما وكيفا، إحسانا وإتقانا، إخلاصا وصوابا تكون قد أدت الذي عليها، وآنذاك تفوض أمرها إلى الله تعالى مع اليقين بقاعدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف:30).

ولذلك فمن أجل الموازين القرآنية في النظر إلى الواقع اتخاذ الأسباب بشروطها ثم تفويض الأمر لمالك الملك.

وختاما فإن الموازين القرآنية هي الحاكمة في حركة الواقع والتاريخ، وهي موازين ربانية تمثل سنن الله تعالى في عالم الأكوان وعالم الإنسان، وهي موازين أنزلت لهداية الناس للعمل بها والاسترشاد بها في ظلمات التيه. والمسلم النبيه من جعل هذه الموازين بصائر وعمل بصبر وإخلاص وصواب: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة:24)

من الصحف العالمية:

جارديان: المسلمون أول ضحايا الإرهاب

علقت صحيفة جارديان البريطانية على الأحداث الأخيرة التي استهدفت المسلمين في أوروبا والولايات المتحدة خلال الفترة الماضية، لا سيما بعد قرار الرئيس الأميركي دونالد ترمب تعليق دخول الولايات المتحدة لـ6 دول عربية وإيران، وقالت إن مقتل ما لا يقل عن 6 أشخاص وإصابة 8 آخرين في مسجد بمدينة كيبيك الكندية، هو جريمة وحشية، تؤكد أن المسلمين بكل المقاييس هم الذين يعانون أشد المعاناة من الإرهاب في العالم اليوم.

ووصفت الصحيفة الإرهاب بأنه تكتيك وليس دينا، وأنه كان يستخدم على مدى 150 عاما، من المسلمين واليهود والمسيحيين والفوضويين والشيوعيين والمسيحيين والبوذيين، وكان باعثهم في ذلك هو معتقداتهم إلى حد ما.

تصورات خاطئة:

قالت الجارديان، إن هناك اعتقادا مستمرا في الغرب اليوم، بأن الإسلام لديه ارتباط فريد وعميق بالعنف والتعصب لا يوجد في نهج أي معتقد آخر. مؤكدة أن هذه الرؤية غير صحيحة من الناحية النظرية والعملية، وكذب يتناقض بالحقائق، كما أنه يميل أيضا لإخفاء الضرر الحقيقي الذي يمكن أن تفعله بعض التفسيرات للإسلام بحياة المؤمنين وغير المؤمنين أيضا.

«نحن نعيش في عالم العنف والتعصب، والأكثر إثارة للدهشة عندما يتبين أن هذا الاعتقاد أو ذاك لم يكن مستعدا لتبرير هذه الممارسات، والفارق في الأمر هنا ليس إطلاق دعوات الحرب هذه، ولكن ما إذا كانت تجد آذانا صاغية وحيث تبدو مقنعة».

وتابعت، أن الأمل والأخوة أهم بكثير من الاعتقاد الديني والسياسي، وأن مأساة الكراهية الدينية والعرقية هي أنها تجعل متعة الأمل والأخوة تبدو أنها تعتمد على الإقصاء وشيطنة الآخر. والرد على ذلك يجب أن يكون بتأكيد إنسانيتنا المشتركة عبر حدود الإيمان والعرق.

رسائل كراهية:

تابعت الصحيفة، بأن معاناة المسلمين في الولايات المتحدة لم تقتصر على إحراق المركز الإسلامي في تكساس، بل إن كثيرا من المساجد تلقت رسائل كراهية، تطلب من المسلمين الرحيل أو مواجهة مذبحة. مشيرة إلى أن رسائل متطابقة أرسلت من منطقة لوس أنجلوس ظهرت في مساجد في كاليفورنيا وولايات أخرى مثل أوهايو، وميشيجان، ورود آيلاند، وإنديانا، وكولورادو، وجورجيا. وقالت شرطة لوس أنجلوس، إنها تحقق حاليا في الرسائل بصفتها «حادثة كراهية» وليس على أساس أنها جريمة، لأنها لا تنطوي على تهديد محدد. مضيفة أن الرسالة أكدت أن ترمب سيفعل بالمسلمين ما فعله هتلر باليهود. وقد طلب مجلس العلاقات الأميركية الإسلامية «كير» من مكتب المباحث الفيدرالي التحقيق في الرسائل. مشيرا إلى أن دراسة أكدت أن الولايات المتحدة شهدت منذ الانتخابات الرئاسية الماضية أكثر من 700 حالة إسلاموفوبيا وتحرش ضد المسلمين.

مدارس عتيقة تستفيد من تجهيزات متنوعة بأكادير

خصص المجلس الإقليمي لعمالة أكادير إداوتنان ميزانية وصلت إلى 400 ألف درهم لاقتناء تجهيزات متنوعة، لفائدة 13 مدرسة عتيقة توجد بالنفوذ الإداري للعمالة.

وتأتي هذه المبادرة، وفقا للمجلس الإقليمي، "في إطار الالتفاتة تجاه طلبة المدارس العتيقة، من أجل تحسين ظروف الايواء والرفع من مستواهم الدراسي، حيث تنضاف إلى المنحة السنوية التي يُخصصها المجلس الإقليمي لهذه المدارس، والتي تُقدّر بـ17 ألف درهم سنويا".

بريطانيا: مسلمو البلاد يتعرضون لتمييز في المجال الوظيفي

أظهرت لجنة حكومية بريطانية في تقرير رسمي لها أن المسلمين هناك يعانون كثيرًا للحصول على وظيفة في البلاد، مؤكدًا على الدور الرئيس الذي يمكن للمسلمين لعبه في سد الفجوة القائمة في مجال التوظيف، وذلك وفقًا لما نشرته شبكة "إيفنج ستاندرد" البريطانية.

وبيَّن التقرير أن المسلمين في بريطانيا الذين يبلغ عددهم حوالي 2.7 مليون نسمة، يواجهون إقصاءً كبيرًا أثناء عملية البحث عن وظيفة، فضلا عن الفارق الكبير في الرواتب مقارنة مع النصارى هناك.

أخبار سريعة

● **تاوريرت: مسابقة إقصائية في حفظ القرآن الكريم وترتيله وتجويده:**

أعلنت مندوبية الأوقاف والشؤون الإسلامية بتاوريرت في بلاغ لها عن إجراء مسابقة إقصائية بمدينة تاوريرت في حفظ القرآن الكريم وترتيله وتجويده؛ بتنسيق مع المجلس العلمي المحلي الأربعاء 12 أبريل 2017.

وحددت آخر أجل لتلقي طلبات الترشح لهذه المسابقة يوم الاثنين 10 أبريل 2017.

● **بوسعيد: جفاف عام 2016 سبب في تباطئ النمو الاقتصادي:**

أرجع وزير الاقتصاد والمالية، محمد بوسعيد، تباطؤ النمو الاقتصادي المغربي إلى الجفاف، الذي عرفته البلاد عام 2016.

وقال بوسعيد، في ندوة صحافية، اليوم الجمعة، حضرها "اليوم 24"، إن "تباطؤ النمو الاقتصادي المغربي سببه الجفاف، الذي ضرب المغرب عام 2016 نتيجة انخفاض القيمة المضافة الفلاحية بـ 8 في المئة.

● **تركيا: أكاديمية "إعداد الدعاة" تفتح أبوابها:**

أعلنت أكاديمية "إعداد الدعاة" بتركيا عن انطلاق المستوى الأول، وذلك في الواحد والعشرين من يناير المنصرم في مدينة إسطنبول التركية، وتشتمل الدورة على دراسة ست مواد بالمستوى الأول، تبدأ بالقرآن والتجويد والتفسير، والفقه والحديث الشريف والتربية، وأصول الدين، والعقيدة ، والسيرة النبوية.

● **الإكوادور: إنهاء الدورة الشرعية العلمية بأمريكا اللاتينية بنجاح باهر:**

أنهت منظمة أمريكا اللاتينية للأعمال الإنسانية دورتها العلمية الشرعية التي أقامتها بالمشاركة مع مسجد خالد بن الوليد في مدينة كيتو في الإكوادور، وذلك في تاريخ 21 و 22 من شهر يناير 2017، وتأتي الدورة في إطار دعم التكوين العلمي والدعوي للدعاة في الغرب وباعتبار أمريكا اللاتينية من القارات المتعطشة لمعرفة المزيد عن الإسلام، وهي شبه منسية من قِبَل العالم الإسلامي.

● **إسماعيل هنية: علاقات حركة حماس مع مصر "في تحسن":**

عاد إسماعيل هنية نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إلى غزة بعد جولة طويلة انتهت بإجراء محادثات في مصر. ووصف هنية العلاقات مع مصر بأنها "في تحسن". وجاء في بيان لحركة حماس أن "وفد الحركة أجرى محادثات ناجحة ولقاءات مثمرة مع مسؤولين مصريين بينهم وزير المخابرات خالد فوزي".

● **اتفاقية دفاعية بين بريطانيا وتركيا بقيمة 125 مليون دولار:**

وقّعت بريطانيا وتركيا اتفاقية دفاعية بقيمة 100 مليون جنيه إسترليني (125 مليون دولار) تركز على تطوير طائرات مقاتلة للقوات الجوية التركية.

● **النقد الدولي يشيد بالسياسات الماكرو-اقتصادية للمغرب:**

أشاد مجلس إدارة صندوق النقد الدولي، الجمعة 2017/01/27 بواشنطن، بالسياسات والإصلاحات الماكرو-اقتصادية "السليمة" التي وضعها المغرب.

● **السعودية: مجلس تنسيق عالمي مع المنظمات الإسلامية بالغرب لتوحيد الجهود في خدمة الإسلام:**

بدأت رابطة العالم الإسلامي بالاشتراك مع اتحاد المنظمات الإسلامية ومؤسساتها في الغرب تنفيذ خطة تستهدف تحسين صورة الإسلام ومواجهة حملات التشويه والحفاظ على الهوية الإسلامية وحماية الأقليات في الدول الغربية، وأسلوب مواجهة الحملة الحالية من خلال وسائل الإعلام.

10 قرارات في 7 أيام.. ترامب ينفذ وعوده ويثير الجدل

في أسبوعه الأول بالبيت الأبيض، وقع الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، عشرة قرارات تنفيذية، كلها تقريبا مثيرة للجدل على الصعيدين الداخلي والخارجي، وتأتي تنفيذا لوعود أطلقها ضمن حملته الانتخابية.

فخلال تلك الحملة، استخدم الجمهوري ترامب (70 عاما) خطابا شرسا هاجم فيه كثيرين داخل وخارج الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما عرّض الملياردير إلى انتقادات أطلقها سياسيون وفنانون وكتاب، منها أنه عنصري معاد للأقليات، ولا سيما المسلمين، والأجانب والمهاجرين والنساء.

ووفق رصد للأناضول، فإن من أبرز القرارات التي اتخذها ترامب، منذ تنصيبه رئيسا في العشرين من الشهر الجاري: تعليق دخول اللاجئين إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ووقف استقبال اللاجئين السوريين، وحظر دخول زائرين من بعض الدول الشرق أوسطية، والانسحاب من اتفاقية الشراكة العابرة للمحيط الهادئ، وبناء الجدار الفاصل على الحدود مع المكسيك، فضلا عن تغيير بنود في قانون الرعاية الصحية، المعروف بـ"أوباما كير"، تمهيدا لإلغائه.

ارتفاع ضحايا إطلاق النار على مسجد بكندا إلى 6 قتلى

قالت شرطة مقاطعة كيبيك الكندية، يوم الاثنين، إن ضحايا إطلاق نار كان قد استهدف المركز الثقافي الإسلامي في المقاطعة، مساء أمس، ارتفع إلى ستة قتلى.

ونقلت قناة "سي بي سي" الكندية عن الشرطة، القول إن الهجوم الذي استهدف المركز، الذي يستخدم كذلك كمسجد، أسفر عن إصابة ثمانية آخرين.

وفي وقت سابق، قال المتحدث باسم شرطة كيبيك، أتاين دويون، إنه تم إلقاء القبض على اثنين من أصل ثلاثة أشخاص أطلقوا النار في المسجد أثناء تأدية صلاة العشاء مساء الأحد.

بدوره أعرب رئيس وزراء كندا، جاستن ترودو عن حزنه لسقوط قتلى في الحادث.

وإثر ذلك أعلن رئيس وزراء مقاطعة كيبيك، فيليب كويلارد على حسابه في "تويتر"، زيادة الإجراءات الأمنية في كافة أنحاء المقاطعة.

غانا: إسلام أمير قرية كبيرة وتبعه آخرون

أعلنت يوم 2017/1/24 مؤسسة الفرقان الدعوية إسلامَ أمير قبيلة كبيرة في قرية كوكو تاون القريبة من مدينة إلبوا الغانية، الواقعة غرب غانا على حدود ساحل العاج والتي يبلغ تعداد سكانها أكثر من 3000 شخص، وقد أسلم مع الأمير عدد من الأشخاص، فضلاً عن إسلام ابن أميرٍ قرية مجاورة، كما أسلم 12 رجلاً وامرأة من قرية الدانكسا التي يبلغ تعدادها حوالي 200، وأكثرهم من النصارى وهي قرية تابعة لمنطقة البوا غرب غانا.

رئيس وزراء كندا: سنواصل استقبال اللاجئين بمعزل عن معتقداتهم

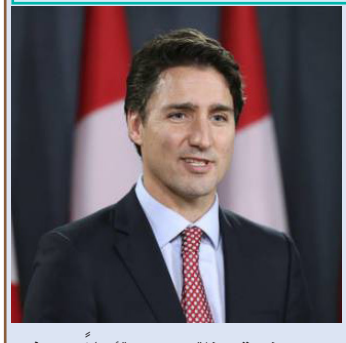

أكد رئيس الوزراء الكندي جاستن ترودو إرادة بلاده في استقبال اللاجئين "بمعزل عن معتقداتهم"، غداة قرار البيت الأبيض منع دخول مواطني 7 دول إسلامية أراضي الولايات المتحدة.وقال ترودو في تغريدة على موقع "تويتر": "إلى الذين يهربون من الاضطهاد والرعب والحرب، عليكم أن تعرفوا أن كندا ستستقبلكم بمعزل عن معتقداتكم"، وأضاف: "إن التنوع يصنع قوتنا".وكتب: "أهلاً بكم في كندا".

بعد ساعات على قرار حظر المهاجرين.. إحراق مركز إسلامي في تكساس

عقب الإعلان عن توقيع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب قراراً تنفيذياً بحظر دخول رعايا 7 دول إسلامية إلى أمريكا، قالت مصادر إعلامية في مدينة تكساس أنه تم إحراق المركز الإسلامي في فيكتوريا في الثانية من صباح السبت 29-01-2017. ويأتي استهداف المركز الإسلامي في فيكتوريا بعد ثلاثة أسابيع فقط على استهداف مركز إسلامي آخر في أوستن أضرمت النار فيه وتم تدميره.

مع عبد الله الطيب (1)

لآلئ وأصداف

يلتقطها أ.د. الحسن الأمراني

رغب إلي قارئ كريم، منذ شهور، أن أخص شيخي عبد الله الطيب بحديث. وقد وعدته منذئذ خيرا، وهذا هو أوان الوفاء بالوعد.

والحديث عن البروفيسور عبد الله الطيب ذو شجون، حتى إنّ المرء ليعجز فلا يعرف من أين يبدأ. وقد قال عنه شيخي وصديقه الدكتور عبد السلام الهراس، في كلمة نشرتها جريدة الشرق الأوسط: (وللدكتور عبد الله الطيب جوانب كثيرة، فهو أديب كبير، وباحث عظيم، وناقد بصير، ومفكر عميق، ولغوي قدير، ونحوي متبحر، ومقرئ ومفسر، ومؤرخ، ومتضلع في الأدب الغربي المكتوب بالإنجليزية.

وقد لفت الأنظار إليه بنبوغه المبكر، وهو من القلائل في عصرنا الحاضر من ألف كتابا لم يؤلف مثله في الأدب العربي إلى الآن وهو في الثلاثين أو دونها: "المرشد إلى فهم أشعار العرب"، وحسبه فخرا أن يشيد الدكتور طه حسين به وبكتابه).

فإذا أضفت إلى ذلك علاقتي الخاصة به، وما عرفته عنه عن كثب، أثناء مرافقتي له مشرفا على رسالتي لدبلوم الدراسات العليا، ثم ما بعد ذلك من اللقاءات التي جمعتني به في بيته، أو في المنتديات العامة، في فاس ووجدة، ثم في الخرطوم، اتسعت جوانب الحديث، وصارت الإحاطة بها مما لا يتسع له هذا الحيز من الجريدة، حيث امتدّت علاقتي به منذ عام 1978، يوم قبل الإشراف على رسالتي الجامعية، حتى زيارتي له في الخرطوم عام 1990، حيث كان ذلك اللقاء آخر العهد به رحمه الله تعالى. وحسبي إذن أن أشير إلى بعض من شخصية هذا الرجل العظيم.

صار الدكتور عبد الله الطيب ملء السمع والبصر منذ صدور كتابه، (المرشد إلى فهم أشعار العرب)، ثم إنه انتقل إلى المغرب، وأقام به سنوات، هو وزوجه جوهرة، عدّاها من أزهى سنوات العمر.

وأبيح لنفسي، في هذا المجال، أن أنقل بعض ما سجله الدكتور عبد السلام الهراس، فهو شاهد صدق على مرحلة انتقال الدكتور عبد الله الطيب إلى فاس. قال رحمه الله: "شاء الله أن ينتقل إلى المغرب، وبالذات إلى فاس التي يقول عنها إخواننا السودانيون إشادة بها وإعجابا بأهلها: «فاس! يا ما وَرَاها ناس». فكثيرا ما كان الدكتور صالح سوار الذهب (وهو عم الرئيس العظيم الزاهد عبد الرحمن سوار الذهب) يردد هذه الجملة أمامنا.

ولقد رغبه في الالتحاق بنا بفاس أخونا الدكتور عباس الجراري الذي اضطلع بمهمة التعاقد مع أساتذة جامعيين بالمشرق العربي للتدريس بالمغرب.. فقد اتصل به سنة 1973 ورغبه في العمل بالمغرب وصادف ميلا منه للاستجابة وقال له: «سألتحق بكم إن شاء الله عند انتهائي من مهمتي مديرا للجامعة بعد نحو سنة».. وفي السنة الجامعية 74-75 زارني الدكتور الراحل عبد اللطيف السعداني بصحبة الدكتور عبد الله الطيب يبشرني بالتحاقه بقسم اللغة العربية وآدابها التي كنت آنذاك رئيسها.. وكان ترحابي بشيخنا الجليل يليق بمقامه. ومن هنا تبدأ علاقة الرجل بالمغرب.. وإن كنا عرفناه سابقا في مهرجان «ابن زيدون». وقد أسندنا إليه التدريس في كل من قسم الأدب العربي وقسم الأدب الإنجليزي، حيث كان يُدَرسُ اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وتركناه يختار المادة والمقرر والجدول الزمني مع حريته في التغيير إن شاء متى شاء، فهذه جامعته وكليته وقسمه يتصرف وفق ما يراه ملائما له.. ثم أسندنا إليه التدريس في الدراسات العليا، والإشراف على الرسائل العلمية الجامعية والاشتراك في المناقشات، وقد انطلق الرجل في نشاط كبير ومتواصل من دون كلل أو ملل أو شكوى، ولم يكن عمله مقتصرا في المدرجات والفصول وإنما كان بيته لا يخلو من زيارة باحث أستاذا أو طالبا أو مستفيدا وأحيانا يمتلئ بيته بمختلف الزوار من أهل العلم والأدب.. كما أن نشاطه العلمي امتد إلى جميع جامعات المغرب، بل إلى مدن أخرى لم تكن بها جامعات، يستجيب إلى دعوات جمعيات ثقافية وأدبية بها، كما أنه كان كثير الأسفار إلى خارج المغرب لحضور الملتقيات والمؤتمرات والاجتماعات من دون إخلاله بواجباته التي تشهد أنها كانت أكثر مما يُطلب منه، إضافة إلى حضوره العلمي الكبير في مباريات الالتحاق بهيئة التدريس بالجامعة أو بسلك تكوين أساتذة الجامعة، أما إشرافه على الرسائل العلمية فكانت فرصة عظيمة لإعداد الباحثين وتوجيههم.

ومن ألمع من تخرج على يده: الدكتور حسن الأمراني، الباحث الشاعر ورئيس قسم اللغة العربية بوجدة، والدكتور محمد الدناي الذي لازم شيخه عبد الله الطيب ونال من علمه حظا وافرا وغير هؤلاء، وكان في دروسه يستفيد طلاب العلم على اختلاف مستوياتهم بمن فيهم الأساتذة".

هذا بعض ما ذكره أستاذنا الدكتور عبد السلام الهراس عن صديقه عبد الله الطيب، وهو غيض من فيض مما كان يمكن أن يدونه، لولا أن شيخنا الهراس كان من العلماء الذين يحرصون على نقل معارفهم شفهيا إلى تلاميذهم ومريديهم أكثر من حرصه على التدوين، على ما خلف من كتب ومحاضرات منشورة. وقلما تزور الشيخ عبد السلام فلا تجد عنده علما من أعلام الشرق والغرب، فتغرف من جلسته علما لا يجتنى من الصحف، كما قال أبو نواس في خلف الأحمر:

كنا متى ما نزرْ منهُ نغترفْ
روايةً لا تُجتنى من الصّحفْ

وتلك ميزة عظيمة، يشترك فيها الشيخان: عبد السلام الهراس وعبد الله الطيب.

وإلى حلقة قادمة إن شاء الله تعالى.

> قال عنه شيخي وصديقه الدكتور عبد السلام الهراس، في كلمة نشرتها جريدة الشرق الأوسط: "وللدكتور عبد الله الطيب جوانب كثيرة، فهو أديب كبير، وباحث عظيم، وناقد بصير، ومفكر عميق، ولغوي قدير، ونحوي متبحر، ومقرئ ومفسر، ومؤرخ، ومتضلع في الأدب الغربي المكتوب بالإنجليزية".

إلى أن نلتقي

الخطب المنبرية... والدور المنشود (1)

تعد الخطب المنبرية أهم وسيلة اتصال مباشر بين الخطيب والسامعين، ولذلك أدت الدور الأكبر في تاريخ المسلمين، بل وفي تاريخ البشرية عموما، حينما لم تكن هناك وسيلة اتصال أو تواصل إلا الخطابة؛ بل يمكن القول إن هناك خطبا غيرت التاريخ، وهناك أعلام عرفوا بخطبهم أكثر مما عرفوا بمواقفهم أو علمهم أو سياستهم.

وفي عصرنا الحاضر، عصر التواصل الاجتماعي، بكل أنواعه وأصنافه، وبكل ما يحمله من تطور مهيب ومريب، ما زالت الخطب المنبرية أداة فعالة يمكن أن تؤدي أدوارا كبيرة، لأسباب عديدة منها:

أن هذه الخطب تكتسب شرعيتها من الدين، بنص الكتاب والسنة، فخطب الجمعة، وخطب العيدين، وخطبة عرفات، بالإضافة إلى خطب المناسبات والطوارئ الكونية؛ كالاستسقاء، والخسوف والكسوف، تعد كلها من أمور الدين. ولا شك أن خطبة الجمعة تعد في أول القائمة للأمر الرباني الوارد فيها في أواخر سورة الجمعة، ثم لأن الصلاة المكتوبة مرتبطة بها. هذا فضلا عن أنها أسبوعية، وتمكّن بذلك من التواصل المستمر المتقارب زمنيا، بين الخطيب وبين المصلين.

أن الاتصال يكون مباشرا بين الخطيب والسامعين، وهو ما لا يتأتى في وسائل الاتصال الأخرى، ومعلوم أن للاتصال المباشر دورا أساسيا في التأثير في المتلقي.

أنها تواكب الأحداث، ويمكن أن تنوّر عقول السامعين حول هذه الأحداث في ضوء الأحكام الشرعية، مما يمكّنهم من فقه واقعهم بشكل سليم.

أن الثقة تكون في العادة كبيرة في الخطيب، فهو في العادة يكون رجلا معروفا، وهو الفقيه، وهو العالم بأمور الشرع، وهو الحامل لكتاب الله، والمقدِّر لمسؤوليته أمام الله تعالى ثم أمام من يستمعون إلى كلامه، لذلك يبعد عنه الكذب والتدليس، على عكس ما يدور في وسائل التواصل الاجتماعي.

لكن هل تؤدي الخطب المنبرية دورها المنوط بها شرعا والمنتظر منها واقعا؟؟

الوقائع في أكثر من مقام لا تدل على ذلك، حتى في الأمور الدينية المحصورة، وبعضها يمكن أن تحدث أمام الإمام الخطيب وهو يلقي خطبته، لنأخذ على ذلك أمثلة:

أثناء إلقاء الخطبة قد يأتي بعض من وصل متأخرا إلى المسجد، فيتخطى رقاب الناس، وقد يؤذي بعضَهم، ليس لأنه لم يجد مكانا يقعد فيه في الخلف، فغالبا ما يكون هناك متسع في أواخر الصفوف، وليس لأنه يريد أن يقترب من الخطيب ليسمع ما يقوله، فمكبرات الصوت تُسمِع الناس في كل مكان، ولكنه يريد القعود في الصفوف الأولى، ليصلي بعد ذلك في الصف الأول، حرصا منه على أن ينال أجر الصلاة في الصف الأول، هكذا يظن، وهكذا يتخيل...

أثناء إلقاء الخطبة قد يأتي بعض من وصل متأخرا أيضا إلى المسجد، فيجلس مباشرة، حتى إذا أقيمت الصلاة قام ليصلي تحية المسجد حرصا منه على ألا يفوته أداء هذه السنة.

في صلاة الجمعة أو في غيرها من الصلوات، قد تطلب من شخص أن يتم الصف، أو أن يستوي حتى لا يكون معوجا أو متقطعا غير تام، فيجيب في أدب جَمّ: "هما سواء": (كيفْ كِيف)، هذا إن لم يُخرجك من الملة، وينكر عليك معرفتك بالدين، وأن الأمة كلها تصلي وتعرف الدين ولست أنت وحدك من يعرفه!!، وقد يُسمعك اتهامات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، وقد يدفع ذلك إلى شجار تعلو فيه الأصوات، ويُلوَّح فيها بالتهديد. إلى غير ذلك مما يثير انتباه المصلين بشكل لافت للنظر هنا أو هناك، مما تشمئز منه النفوس ويترفع عن الخوض فيه العقلاء.

طبعا لست فقيها مفتيا، ولكني ذكرت أمثلة بسيطة مما هو معروف لدى عموم المصلين كما يعرف النهار والليل. ولذلك أقول إن مما ينبغي أن يثار في الخطب المنبرية مثل هذه الأمور التي تتعلق أولاً بإقامة الصلاة ومراعاة حرمة المسجد، بالإضافة إلى التنبيه على غيرها من الفرائض والسّنن، وأن يُذكّر بها بشكل مستمر. بالتأكيد لا أقصد أن تكون الموضوع الوحيد، ولكن أقصد أن تخصص دقائق محدودة للتنبيه على مثل هذه الأمور، حتى ولو كان ذلك بين قوسين -كما يقال- ؛ أي حينما يحدث الحدث يتدخل الخطيب مباشرة، أو على الأقل في الخطبة الموالية، وذلك مواكبة للحدث، حتى تؤدي الخطبة المنبرية دورها المنشود.

أ.د. عبد الرحيم الرحموني